الفصل الرابع :

سلوك الجبارين ولغتهم في القرآن الكريم :

تحليل للدلالات التربوية

(١)مفهوم الجبروت لغة واصطلاحاً.

أصل الكلمة (جَبَرَ) : الجيم والباء والراء أصل واحد وهو جنس من العظمة والعلو.(١) والكلمة على وزن مفلوت من الجبر والقهر، فالجبّار: المتكبر عن عبادة الله والذي لا يرى لأحد عليه حق .

ومن أسماء الله الحسنى، الجبّار، وهو العالي فوق خلقه.

والجبّار من الملوك: العاتي، والجبّار الذي يقتل على الغضب، والجبّار القاتل بغير حق والجبّار: العظيم القوي الطويل.

ونخلةٌ جبّارة ، أي عظيمة سمينة.(٢)

ويقال : أجبرتُ فلاناً على الأمر، ولا يكون ذلك إلا بالقهر وجنس من التعظم عليه.(٣) ومما سبق يمكن أن نستنتج المعنى الاصطلاحي لكلمة "الجبروت".

فهي صفةٌ قائمةٌ على التكبر عن عبادة الله تعالى وعدم رؤية حقٍ لأحد، والتعالي على الناس والظلم والقهر لهم وأخذهم بالقوة و التعظم عليهم. وفيها معنى القوة والعظمة .

١- أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥)هـ، معجم مقاييس اللغة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، جزء ١ ص ٥٠١.
٢- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٦٣٠)هـ، لسان العرب ، (مصر: الدار المصرية للتأليف والنشر)، جزء ٥، ص ١٨٢، ١٨٣.
٣- معجم مقاييس اللغة، جزء ١، ص ٥٠١، مرجع سابق.

وهذه الصفة صفة حقٍ لله سبحانه وتعالى، فهو جبّار السموات والأرض وهو العالي فوق خلقه أما أن يتصف بها المخلوقين، فلا يحق لهم ذلك، ومن اتصف بها منهم قصمه الله.

(٢)مفاهيم ذات صلة بمفهوم "الجبروت" .

(١)الظلم لغةً واصطلاحاً .

ظَلَمَ : ظُلمًا ، ومظلمة فهو ظالم وظلوم وظلاّم، وهم ظلمة وظالمون.(١) فالظلم : وضع الشيء في غير موضعه، وفي أمثال العرب في الشبه: من أشبه أباه فما ظلم" قال الأصمعي ما ظلم: أي ما وضع الشبهَ في غير موضعه.

وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد.

والظلم : الميل عن القصد والعرب تقول: الزم هذا الصواب ولا تظلم عنه، أي: لا تَجُرْ عنه وقوله تعالى: ﴿ ...إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(٢)

يعني: أن الله تعالى هو المحيي المميت الرازق المنعم وحده لا شريك له ، فإذا أشرك به غيره فذلك أعظم الظلم لأنه جعل النعمة لغير ربها.

والظلم، اسم يقوم مقام المصدر، والظلمة، المانعون أهل الحقوق حقوقهم.(٣)

وظلمهُ حقه: نقصهُ إياه، وظلم الأرض: حفرها في غير موضع حفرها، أو حفرها ولم تحفر قبل، وظلم الوادي: بلغ الماء منه موضعاً لم يبلغه قبل.(٤)

ومعنى الظلم في الاصطلاح:

عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور. وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد.(٥)

١- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٩م). جزء ٣، ص ٦٦٤.
٢- سورة لقمان : الآية ١١
٣- لسان العرب، جزء ١٥، ص ٢٦٦، مرجع سابق.
٤- معجم متن اللغة، جزء ٣، ص ٦٦٤، مرجع سابق.
٥- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(٨١٦)هـ، كتاب التعريفات، (القاهرة: دار الرشد، ١٩٩١م) ص ١٦٤.

وهنا تظهر الصلة بين مفهوم الظلم ومفهوم الجبروت ، فالظلم هو : تجاوز الحد والتعدي ، فهو إذاً صفة من صفات الجبّار ، وصاحب الجبروت في مجاوزته للحد وتعديه على الغير بغير وجه حق ، وفي كتب الأخلاق يربطون مفهوم الظلم بالخطيئة، في أن الظلم ينطوي بالبداهة على خطيئة ، والظالم هو على الدوام ظالم حيال شخص، وظالم باقترافه خطيئة نحو ذلك الشخص وذلك عندما يغتصب حق هذا الشخص، والظالم ينطوي على الانحيان.(١)

(٢)الطغيان لغةً واصطلاحاً :

طغى يطغو ويطغى: الطغيان والطغوان، جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأطغاه المال: أي جعله طاغياً.

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝ ﴾(٢)

أي طغيانهم، وقال قتادة: بعث الله عليهم صيحة، وطغى الماء والبحر: ارتفع وعلا على كل شيء فاخترقه، وكل شيء جاوز القدر فقد طغى، كما طغى الماء على قوم نوح.(٣)

وطغى السيل: جاء بماء كثير، وطغى البحر هاجت أمواجه، والطاغوت: الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال.(٤)

والطغيان في الاصطلاح : مجاوزة الحد في العصيان.(٥)

١- د. عادل العوّا، دراسات أخلاقية، (دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨٣م) ص٢٠.
٢- سورة الحاقة الآية:٥
٣- لسان العرب، جزء ١٩، ص ٢٣١، مرجع سابق.
٤- الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م) ص٣٩٣.
٥- كتاب التعريفات، ص ١٦٠ ، مرجع سابق.

وتظهر الصلة بين مفهوم الطغيان ومفهوم الجبروت في أن صاحب الجبروت متجاوز للحد في عصيانه وكفره وباطله ولا يلتفت لأحدٍ ولا يحسب حساب أحد، وقد ظهر هذا المعنى فيما قصه الله علينا في القرآن من قصة قارون الذي جاوز الحد في الإعجاب بنفسه والترفع عن الناس والعصيان بعد أن كثرت كنوزه فكان عاقبته أن ابتلعته الأرض. وهذا مصير كل طاغية متكبر.(١) وسيأتي الحديث عن قصته لاحقاً بتفصيل أكثر.

(٢)القهر لغةً واصطلاحاً :

القهر : الغلبة والأخذ من فوق.

والقهّار : من صفات الله عز وجل، فهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً.

والقهّار : للمبالغة، والقاهر: هو الغالب جميع الخلق.

وتقول : أخذتهم قهراً أي من غير رضاهم.(٢)

والقهر : الأخذ على طريق التذليل، وقهرهُ قهراً: غَلَبهُ، وأقهر الرجل: صار أصحابه مقهورين أذلاء.(٣)

ووجه الصلة بين مفهوم القهر ومفهوم الجبروت: أن صاحب الجبروت يمارس القهر والإجبار والتذليل للناس ليخضعوا لأوامره كرهاً ويصبحوا أذلاء

١- د. عبد الله عبد الرحيم العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية، (بيروت: المكتبة العصرية). ص٢٣٦.
٢- لسان العرب، جزء ٦ ، ص ٤٣٣ ، مرجع سابق.
٣- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤م) جزء ١٣، ص ٤٩٥.

أمامه مما يعطيه الاستعلاء والتجبّر عليهم. والقهر هي صفة حق لله وهي لا تصح لأيّ من خلقه، لأن الله هو المتعالي على كل خلقه والخلق ضعفاء أمامه.

(٤)العنف لغةً واصطلاحاً :

عنُفَ عنفاً وعنف به فهو عنيف، لم يكن ذا رفق بامره.(١)

وهو ضد الرفق، واعتنف الأمر: أخذه بعنف، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر، وأعنف الشيء: أخذه بشدة، والعنيف: الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل وقيل الذي لا عهد له بركوب الخيل.(٢)

وعنفه : عيّره ولامه وقرعه بشدة والعُنْفُ الشدة والمشقة والخرق بالأمر وقلة الرفق.(٣)

دوافع الجبروت :

عند التأمل في قصص الجبارين في القرآن الكريم وما جرى معهم، وعداوتهم لرسل الله ورفضهم دعوتهم، نلاحظ أن أسباب ودوافع جبروتهم وطغيانهم تتلخص فيما يلي:

(١)الاغترار بالمال والصحة والقوة والجاه والعشيرة والأنصار ونسيان العاقبة:

والغرور هو أن ترى أفراد هذا الخُلُق يحتقرون كل من عداهم، ويتطاولون إلى ما ليس في قدرتهم ويتدخلون فيما ليس من شأنهم، ويحكمون على ما

١- معجم متن اللغة، جزء ٤ ، ص ٢٢٢ ، مرجع سابق.
٢- لسان العرب ، جزء ١١ ، ص ١٦٣، مرجع سابق.
٣- معجم متن اللغة ، جزء٤ ، ص ٢٢٢ ، مرجع سابق.

لم يحط به علمهم، حتى ليترفع أحدهم عن الإصغاء إلى نصيحة والاستماع إلى رأي، والخضوع لكبير والإجلال لعالم.(١)

فاغترار الإنسان بماله وأنه يملك ما لا يملكهُ غيره. وأنه يستطيع بماله أن يفعل كل ما يريد وأن يعبّد الناس له ، لأن الناس بطبعهم يميلون إلى الذي كَثُرت أمواله ويتقربون منه علّهم يحصلون على شيء من ذلك، وصدق الشاعر إذ يقول:

رأيتُ الناس قد مالوا ... إلى من عندهُ مال

ومن لا عنده مال ... فعنهُ الناس قد مالوا

فيغتر بهؤلاء الحشد ويظن أنه معظَّم في الدنيا وينسى الآخرة فيدفعه إلى الجبروت كما هو حال قارون الذي تجبّر بماله حتى خسف الله به الأرض ، وسيأتي تفصيل قصته فيما بعد .

أما الاغترار بالصحة والقوة، فهو دافع أساسي للجبروت بحيث لا يرى الشخص أن أحداً يستطيع أن يجاريه في قوته وجبروته ، فيدفعه إلى الاستعلاء ورؤية النفس على الناس وإجبارهم على الخضوع له ، كما هو حال النمرود الذي واجهه سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبان ضعفه أمام قوة الله تعالى.

١- د. مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ، ط٤، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ)، ص١١.

وأما الاغترار بالجاه والعشيرة والأنصار، فيرى صاحبه أن أحداً لا يملك هذا الحشد والحشم ، وأنه يستطيع الاستعلاء على الناس وقهرهم والتجبّر عليهم بقوته وعشيرته مما يُعمي اللّٰه بصيرته ويُنسيه آخرته ، فيطغى في الأرض ، ويعيث فيها الفساد. كما هو حال فرعون مع قومه وحاشيته ، وحال صاحب الجنتين في سورة الكهف الذي رأى نفسه أكثر أموالاً وأولاداً فدفعه إلى الكفر ونسيان اللّٰه ، فقصمه اللّٰه تعالى، وسيأتي تفصيل هذه القصص لاحقاً .

فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شُبهةٍ وخُدعةٍ من الشيطان، فيعتقد الإنسان فيه أنه على خير ويظن بنفسه الخير كما في غرور الكفار الذين غرتهم الحياة الدنيا واغتروا بما عندهم من الخير حتى نسوا العاقبة، ويظنون أنهم لو رجعوا إلى اللّٰه فسيكونون أوفر حظاً وأسعد حالاً من غيرهم وهذا أشد أنواع الغرور.(١)

(٢)الكبر والطغيان ورفض إعمال العقل:

فالكبر آفة تؤثر على النفوس والقلوب البشرية فيترتب عليها:

أ-عدم رؤية الحق.

ب-عدم الاعتراف به.

ج-عدم الاعتراف بالفضل لأولي الفضل.

د-يمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه.

١- عبد السلام هارون، تهذيب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (مصر : دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٧م)، ص ٤٠٣،٤٠٤.

فيدفعهم ذلك إلى التجبّر واستصغار الناس والاستهانة بأمرهم. كما فعل قوم فرعون عند دعوة موسى عليه السلام لهم مع أن نفوسهم أيقنت بها إلا أنهم أنكروها، قال تعالى:

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا... ﴾[1]

فيرى المتكبر أن قدره فوق أقدار الناس فيستنكف أن يكون معهم أو تبعاً لأحدٍ منهم، وقد يؤدي إلى طغيانه عليهم ويرفض قبول أي نصيحة أو أي حق يعارض هواه وما يمليه عليه من الترفع عن الناس فيرفض اتباع الحق.

وقد ذم الله تعالى الكبر، وذم كل جبار متكبر، فقال تعالى: ﴿... كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[2]، والمتكبر لا يتكبر إلا إذا استعظم نفسه باعتقاده أن لها صفة من صفات الكمال الدنيوي من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار، فيعجب الإنسان بنسبه الشريف ويستحقر من ليس له ذلك النسب ويُعجب بجماله ويتفاخر به على الناس ويُعجب بماله فيستحقر الفقير قليل المال ويذله ، ويُعجب بقوته وشدة بطشه ويتكبر به على أهل الضعف ويتكبر على الناس بكثرة أعوانه وأنصاره.[3]

(٢)حب الرئاسة والجاه والمال ،

١- سورة النمل من الآية:١٤

٢- سورة غافر من الآية:٣٥

٣- تهذيب إحياء علوم الدين للغزالي، ص ٣٨٧ ، ٣٨٩، ٣٩٠، مرجع سابق.

والجبّار يحب الرئاسة على الناس وأن يكون له حشم ومال كثير حتى يستعلوا به على الناس، فهم يعارضون كل شيء يسلبهم مكانتهم وتجعلهم تابعين لأحد، لذلك يرفضون الإيمان باللّه واتباع الحق لأنهم يظنون أن ذلك يسلبهم جبروتهم وجاههم وسلطانهم فيعادون المؤمنين.(١)

فالجبارين لحرصهم على الرئاسة والجاه رفضوا الإسلام وعادوا دعاته حتى لا يفقدوا سلطانهم على الناس.

وقد ذمّ اللّه عز وجل في القرآن الكريم حب الجاه والرئاسة فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا... ﴾(٢)، فقد جمع بين إرادة الفساد والعلو، وبيّن أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعاً.

والمال والجاه هما ركنا الدنيا، وذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس، ويقدر على أن يتصرف بها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه.

وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً، ويبغي أن تكون له الأحرار عبيداً بالطبع والطّوع،إذاً فالجاه: قيام المنزلة في قلوب الناس فتعتقد تلك القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه، فبقدر ما يعتقدون من عماله تُذعن له قلوبهم،

١- أساليب الدعوة والإرشاد، ص ٣٠٠، مرجع سابق.
٢- سورة القصص من الآية:٨٣

وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب، وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه.

وقد ذم الله عز وجل المال أيضا ، فقد قال تعالى من أجل كراهية حبه: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾[1] فمن اختار ماله على ما عند الله فقد خسر وغُبن خسراناً مبيناً. وأن الحرص والطمع فيه يجرّ صاحبه إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات.[2]

وهذا ما كان من الجبارين في حرصهم على الرئاسة والمال والجاه مما أدى بهم إلى لزوم الباطل والتعنت و التكبر والبعد عن قبول الحق واتّباعه.

(٤)الجهل المركب :

والجبّار غارق في الجهالة. ولا يشعر بجهالته ، وهذا ما يسمّى الجهل المركب فهو يكفر بربه ويرفض الحق ودعاته ، بل ويصف الحق بأنه ضلال ويرمي أصحابه بالسفاهة وخفة العقل ويؤلب عليهم ويكيد ضدهم ويعاديهم ، بل ويستغرب منهم ويدعي أنه هو على الحق وهم على الباطل.

ثم إن الجبّارين يعادون أتباع الحق ويستهزئون بهم زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون ، وأنهم لخفة عقولهم تبعوا دعاة الحق، ويدّعون أن الأنبياء الكرام مفسدون في الأرض وأنهم هم المصلحون و المدافعون عن الناس وحقوقهم وأنهم

١- سورة التغابن الآية:١٥

٢- تهذيب إحياء علوم الدين للغزالي، ص ٤٧٣، ٤٧٤، ٣٦٥، مرجع سابق.

هم الذين يريدون الخير لهم ، وهذا من أجل الاحتفاظ بسلطانهم وجبروتهم على قلوب الناس واستعبادهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما حدثنا عنه القرآن الكريم من موقف فرعون مع موسى عندما دعاه إلى الحق فقام بتأليب الناس عليه والكيد له، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ... ﴾ (١)

فهذا الجهل بالدين وردّ دعوة الأنبياء المكرمين ، بل وتأليب الناس عليهم والإفساد في الأرض والاستخفاف بالمؤمنين هو من صفات الجبّارين أصحاب العقول الضيقة الأفق الذين لا يرون أبعد من مصالحهم الذاتية.

السمات الأسلوبية لخطاب الجبارين :

الذي يتابع ما يتقوله ملاحدة هذا العصر ، ومدَّعو العلمانية ، يلحظ تقارب مفردات خطابهم ، وأنماط تفكيرهم ،وأسلوب عداوتهم ، وطرائقهم في الجدل والنقاش . وقد دعانا هذا إلى محاولة البحث عن جذور هذه الفئة – ولا نقول المدرسة – من البشر في التاريخ الإنساني الذي لا نجد له مصدراً أصدق ولا أوثق من القرآن المحفوظ

١- سورة الأعراف الآية :١٢٨

فقد روى القرآن الكريم قصص الظلمة والطغاة والجبارين بدءاً من ابن آدم قاتل أخيه ومروراً بأقوام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وإذا نظرنا في قصص أولئك الجبارين سنجد تشابهاً كبيراً يجمع بينهم على صعيد الكفر والجبروت والإرهاب والقسوة يدفعهم إلى ذلك عوامل كثيرة منها :

١- الاغترار بالمال

٢- الاغترار بالسلطة والمنصب

٣- التكبر عن الاعتراف بالحق

٤- الجهل الفاضح

وإذا كانوا قد تشابهوا في دوافع معاداة الحق الأبلج ، فإن من المتوقع أن يكون تعبيرهم عن هذه المعاداة متشابهاً أيضاً . ومن ثم فستسعى السطور القادمة لتحليل البنية الأسلوبية لخطابهم سواء أكان ذلك الخطاب موجهاً إلى من يدعونهم إلى الحق ، أم موجهاً إلى أنصارهم وأتباعهم المغلوبين على أمرهم .

أولاً : الأسلوب الخبري :

استخدم الجبارون في خطابهم الأسلوب الخبري ، وهو كما يقول البلاغيون " ما يحتمل الصدق والكذب لذاته " ، في محاولة منهم لإبهام من

يخاطبونه بأنهم صادقون ، كما نلحظ في قول النمرود (الذي حاج إبراهيم في ربه) حين قال له إبراهيم عليه السلام : ربي الذي يحيي ويميت ، فقال ﴿... أَنَاْ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ... ﴾[1] فأداء المعنى بهذا الأسلوب الخبري المباشر دون استعمال أي أداة من أدوات التوكيد ، يدل على ما امتلأت به نفسه من غرور وانتفاخ وإعجاب ، ولكن الدافع الحقيقي لهذا التعبير هنا هو الجهل المطبق . لأن مفهوم الإماتة والإحياء عند هذا الطاغية مرتبط بما يملك من أسباب مادية .

وقد ورد استخدام الأسلوب الخبري كثيراً على ألسنة الجبارين ، فقد جاء في خطاب قوم إبراهيم كما في قوله تعالى على لسانهم حين سألهم إبراهيم عليه السلام عن التماثيل التي يعكفون علي عبادتها :

﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[2]

وفي قولهم : ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[3]

وفي قوله تعالى عنهم :

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾[4]

١- سورة البقرة من الآية:٢٥٨
٢- سورة الأنبياء الآية:٥٣
٣- سورة الأنبياء الآية:٦٠
٤- سورة الأنبياء الآيات:٦٤:٦٥

كما ورد استخدام الأسلوب الخبري على لسان قوم إبراهيم أيضاً في سورة الشعراء في حوار إبراهيم عليه السلام معهم . قال تعالى :

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [1]

ويظهر من استخدامهم هذا الأسلوب أن دافعهم إلى استعماله إنما هو الجهل بحقيقة تلك الآلهة الزائفة التي لا تنفع ولا تضر . وإن عبادتهم إياها ما هي إلا ضرب من تقليد الآباء السابقين .

وورد الأسلوب الخبري أيضاً على لسام قوم لوط عليه السلام حين رأى منهم رغبة في إيذاء ضيوفه ، فعرض عليهم أن يتزوجوا من بناته ويكفوا أذاهم عن ضيوفه ، قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [2] وقد يكون الدافع إلى استعمال هذا الأسلوب هنا هو الاستكبار والعناد ، والإصرار على الأذى ، وعدم الرغبة في الاستجابة للهدى والرشاد .

١- سورة الشعراء الآيات: ٧٠:٧٤
٢- سورة الأنبياء الآية:٥٣

وورد الأسلوب الخبري كذلك على لسان قوم ثمود في ردهم على نبي الله صالح عليه السلام حين تعجب من استعجالهم بالسيئة ، فكان جوابهم عجيباً

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾[1]

ثانياً : أسلوب التوكيد :

ومما يتصل بالأسلوب الخبري اللجوء إلى توكيد الكلام رغبة من أولئك الجبارين في إلباس الباطل ثوب الحق عن طريق تأكيد الكلام ليبدو وكأنه حقيقة ، وقد ورد استخدام التوكيد كثيراً على لسان فرعون في القرآن الكريم لأنه بالغ من بين الجبارين في ادعاء الألوهية حتى صدقه أكثر قومه وعبدوه ، وحين تبين للسحرة الذين جاء بهم من أقاصي البلاد أنه على الباطل أعلنوا رفضهم لألوهيته وآمنوا بنبوة موسى عليه السلام . وأعلنوا ذلك في قوة وتصميم وإيمان لا يتزعزع . فماذا يملك هذا الطاغية الجبار غير التهديد والتشكيك ؟ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ...﴾[2].

١- سورة النمل الآية:٤٧
٢- سورة طه من الآية: ٧١

فهو يستخدم التوكيد بالحروف " إن – اللام " في قوله (إنه لكبيركم) . والتوكيد باللام والنون (فلأقطعن . . ولأصلبنكم . .) وورد التوكيد في خطاب فرعون للسحرة قبل أن يؤمنوا حين سألوه﴿... أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] وحين أوشك الخسران أن يحيق بفرعون وأنصاره ، ثارت ثائرته ، وتوالت تعبيراته ساخنة طافحة بالمرارة والخذلان . وتوالت أساليب التوكيد في محاولة يائسة لجمع شمل أنصاره وتبصيرهم بالخطر .

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]

ثالثاً : أسلوب الشرط :

يحمل أسلوب الشرط بطبيعة تركيبه ما يحمله كل من الإغراء والتحذير من تأثير نفسي في المخاطب . فحين يسمع المخاطب فعل الشرط ينتظر جوابه قلقاً مترقباً متحسباً وفقاً لطبيعة فعل الشرط التأثيرية . فإذا كان صدر جملة الشرط يحمل إغراء ، انتظر السامع أن يجد في جملة جواب الشرط وجزائه ما يدفعه إلى هذا السلوك أو ذاك . وإذا حملت جملة صدر

١- سورة الشعراء من الآيات: ٤١:٤٢
٢- سورة الشعراء الآيات: ٥٣:٥٦

الشرط تخويفاً فزع السامع وتلهفت نفسه لمعرفة الجزاء الذي يكشفه عجز جملة الشرط ، وإذا كان الإغراء والتحذير هما وجهي العملة الشرطية من حيث الدلالة ، فإن الغالب على أسلوب خطاب الجبارين إزاء خصومهم هو التحذير والتهديد والوعيد كما يظهر أكثر ما يكون في سورة الشعراء على ألسنة معظم الجبارين الذين سردت تلك السورة قصصهم ، وسجلت حواراتهم على مدى تاريخ البشرية . فقوم نوح لا يستجيبون لدعوته . ولا يكتفون بكفرهم وعنادهم . بل يهددونه قائلين﴿..لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[1] ومن خطاب هؤلاء الكفرة الفجرة تظهر نبرة التهديد القاسية في قولهم (لتكونن من المرجومين) فلم يقولوا مثلاً : (لنرجمنك) ليكون التهديد له وحده . بل استعملوا (من) التبعيضية وجعلوه مجرد " واحد " من المرجومين أي أنهم سيرجمونه هو ومن آمن به . وذلك حتى يقطعوا من نفسه أدنى أمل في المقاومة ، أو تفكير في الاستنصار بأتباعه المؤمنين . وبمثل هذا الخطاب نفسه ، خاطب قوم لوط نبيهم ، غير أن تهديدهم كان بطرده من بلده وليس برجمه كما قال قوم نوح ، وذلك لأن لوطاً كان أشد تقريعاً لقومه وازدراء بأفعالهم القبيحة .

١- سورة الشعراء من الآية:١١٦

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[1].

فجواب أسلوب الشرط هنا هو إبعاده ومن آمنوا معه من بلدهم حتى يستريحوا تماماً من عار تعييرهم بأفعالهم الشنعاء.

فالرجم هنا، وإن كان سيلحق الأذى بالمرجوم مؤقتاً، لن يوقف سيل اللوم والمعايرة، أما نوح فقد كان خطابه لقومه رقيقاً لا عنف فيه ولا لوم ولا تحقير:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[2].

فكان جزاء الشرط في مقابل هذا الوعظ الهيِّن الليِّن التهديد بالرجم، والرجم لن يؤدي بالضرورة إلى الموت، بل قد يكون لمجرد الردع والإيذاء البدني

١- سورة الشعراء الآيات: ١٦٥:١٦٧
٢- سورة الشعراء الآيات: ١٠٦:١١٦

، أما الإبعاد والنفي فهو قتل محقق وإن كان قتلاً معنوياً ، فضلاً عما فيه من تخلص من أسبابه .

فهذان نموذجان من أسلوب الشرط حين ورد على لسان أمتين من الأمم الظالمة ، وفي النموذجين كان جواب الشرط وجزاؤه التهديد مرة بالرجم ، ومرة بالنفي .

وقد يلجأ الجبارون الظلمة في استعمالهم لأسلوب الشرط إلى التعجيز . كما ورد على لسان قوم عاد وثمود ، كما قال تعالى في سورة فصلت : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

فجملة الشرط هاهنا تتكون من (لو + الفعل) في قولهم : (لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) والمعروف أن (لو) تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع حدوث الفعل ، والجواب هنا محذوف وقد جاء في الآية ما يدل عليه ودخلت " الفاء " التي تلحق بجواب الشرط ، على ما جاء بديلاً عن الجواب ومترتباً عليه . والتقدير : لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ولو أنزل

١- سورة فصلت الآيات:١٣:١٤

ملائكة – بدلاً منكم أيها الرسل البشر – لآمنا ، ولأنه لم ينزل ملائكة فإننا كافرون بما تدعوننا إليه . وهنا ملحظ مهم وهو أن القوم استعملوا في خطابهم لفظ (ربنا) فكأنهم موقنون بوجود الله ولكن غرور القوة وجبروت الجاه والمال والسلطة هو الذي دفعهم إلى طريق الشر.

يدل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾ [1].﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ...﴾ [2].

رابعاً ، استخدام الأمر ،

من السمات الأسلوبية في خطاب الجبارين ، تفضيلهم لصيغتي الأمر والنهي لما في هاتين الصيغتين من جبروت واستعلاء ، فالأمر في أصل دلالته يقصد به طلب فعل الشيء على جهة الاستعلاء ، والنهي يقصد به الكف عن فعل الشيء على جهة الاستعلاء . ولذلك نرى الجبارين يكثرون من استعمالهما ، وبخاصة حين يضيق الخناق عليهم . ففي سورة يونس نجد فرعون حائراً حاسماً أمام آيات الله والمعجزات التي أيد الله تعالى بها نبيه موسى عليه السلام ، فيلجأ لفعل الأمر موجزاً حاسماً مستعصماً بسلطته وقوته :

١- سورة فصلت من الآية:١٥

٢- سورة فصلت من الآية:١٧

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] .

والأمر هنا على أصل دلالته فهو يعني الإتيان بالسحرة بالفعل . وكذلك جاء استعمال الأمر على حقيقته على لسان قوم إبراهيم عليه السلام حين سفه أحلامهم وسخر من آلهتهم ، وانهال عليها تحطيماً وإهانة . فلما رأوا ما حلّ بآلهتهم وعرفوا أن الذي فعل ذلك هو إبراهيم : ﴿... فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] فلما حاوروه فأفحمهم في الحوار وأوقفهم على حقيقة آلهتهم التي لا تنطق ولا تنفع ولا تضر تصاغروا وشعروا بالضعف العقلي وأبى عليهم غرورهم أن يلينوا للحق ، وينصاعوا للدليل ، فلم يجدوا إلا ما يملكون من سطوة القوة ، وغرور السلطة فماذا فعلوا ؟ : ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [3] والأمر هنا على حقيقة دلالته أيضاً ، فقد نفذوه وألقوا به في النار ، ولكن الله تعالى نجاه بمعجزة خالدة .

ولكن الجبارين قد يستعملون " الأمر " ولا يردون به حقيقة دلالته . فقوم شعيب حين نهاهم نبيهم عن تطفيف الكيل وأمرهم بالعدل في الميزان : ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

١- سورة يونس الآية:٧٩
٢- سورة الأنبياء من الآية:٦١
٣- سورة الأنبياء الآية:٦٨

ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[1] فاستعمال الأمر هنا (أسقط علينا كسفاً من السماء) لا يقصد به الإتيان بفعل يعلمون سلفاً أنه لا يقدر عليه . وهذا يدل على مدى غلظ قلوبهم وتمكن الجحود والعمى منها

وكذلك يظهر الأمر الدال على الغرور في سلوك قوم سبأ الذين كفروا بنعمة الله ولم يشكروا له ما أفاء عليهم من نعم الزروع المثمرة والطرق الآمنة ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ... ﴾[2] فاستعمال الأمر هنا (باعد بين أسفارنا) صادر من الأدنى للأعلى فيراد به الدعاء . فلما دعوا على أنفسهم جاءت الاستجابة سريعة معبراً عنها بحرف " الفاء " (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) لتبشيع ظلم الإنسان لنفسه والتنفير منه .

خامساً ، استخدام النهي ؛

والنهي هو الصورة المقابلة للأمر في خطاب الجبارين . ومعناه الأصلي طلب الكف عن فعل الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام . وقد يتلازمان في لغة الجبارين ، فكفار مكة حين رأوا تزايد أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعروا بالخوف على سلطانهم ومراكزهم ، فطلبوا من أتباعهم بصيغة الأمر والنهي ألا يستمعوا للقرآن ، وأن يعبثوا بالمسلمين حيث يقرأ بعضهم القرآن .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

١- سورة الشعراء الآيات:١٨٥:١٨٧

٢- سورة سبأ من الآية:١٩

٣- سورة فصلت الآية:٢٦

وكذلك يلجأ أصحاب الجنة الظالمون حين غدوا على جنتهم عازمين أن يحرموا الفقراء ما كان عودهم أبوهم عليه من الصدقة ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] فالنهي هنا على حقيقته ، وقد ورد مصحوباً بتوكيد الفعل المنفي بالنون زيادة في تأكيد النهي عن الفعل . وقد ورد الخطاب نفسه على لسان قوم نوح عليه السلام حين نهى بعضهم بعضاً عن اتباع نوح وترك آلهتهم كما يظهر في سياق قصتهم في سورة نوح

﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

١- سورةالقلم الآيات:٢٣:٢٤
٢- سورة نوح الآيات:٢٢:٢٣

نماذج من ممارسات الجبارين في القرآن الكريم ومضامينها التربوية

السلوك الفردي للجبارين في القرآن الكريم :

(١)قصة النمرود مع سيدنا إبراهيم عليه السلام :

ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1].

هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ... ﴾[2]، فجرت آية ذكر النمرود مجرى الحجة على مضمون الجملة التي سبقتها وهي : (الله ولي الذين آمنوا..) أو كالمثال لها، فقد ساق الله عز وجل بعدها ثلاثة شواهد على هذا القول وكانت آية النمرود أولها وأجمعها لأنها اشتملت على ضلال الكافر وهدى المؤمن وكان المقصود من هذا التمثيل حال المشركين في مجادلتهم النبي-صلى الله عليه وسلم -في البعث بحال الذي حاجّ إبراهيم في ربه.

والاستدلال في الآية مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى وإبطال الإلهية لغيره لانفراده- عز وجل- بالإحياء والإماتة، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس.

١- سورة البقرة الآية : ٢٥٨

٢- سورة البقرة من الآية : ٢٥٧

ومعنى قوله (الذي حاجّ إبراهيم في ربه): أنه خاصمه خصاماً باطلاً في شأن صفات الله رب إبراهيم، وهذا الشخص كان كافراً لا محالة لقوله تعالى: (فبُهت الذي كفر) وقد كان ملكًا جباراً، كان ملكاً في بابل، وأنه الذي بنى مدينة بابل، وبنى الصرح الذي في بابل، واسمه نمرود.[1]

وقد قال النمرود ما قال وأقدم على هذا الغلط العظيم ، وسَهُل عنده بسبب ازدهائه وإعجابه بنفسه بعد أن فضّل الله عليه بأن آتاه الملك وخوّله ذلك. واحتج إبراهيم عليه بحجة واضحة يدركها كل الناس أن الرب الحق هو الذي يُحيي ويُميت، فلذلك ابتدأ الحجة بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات ، ثم أعقبه بدلالة الإماتة، فإنه لا يستطيع تنهية حياة الحي إلا الله عزوجل.

فجاء النمرود بمغالطة عن جهل أو غرور في الإحياء والإماتة إذ زعم أنه يعمد إلى من حكم عليه بالموت فيعفو عنه، وإلى بريء فيقتله، فكان جواب إبراهيم أن عدل عن الاعتراض بأن هذا ليس من الإحياء المحتجّ به ولا من الإماتة المحتج بها، فأعرض عنه لما علم من مكابرة خصمه ، وانتقل إلى ما لا يستطيع الخصم انتحاله، ولذلك بُهت، أي عجز ولم يجد معارضة.[2]

وهذا النمرود عدو الله وعدو إبراهيم الذي كذّب بما جاء به من عند الله ولاد على إبراهيم النصيحة جهلاً منه واغتراراً بحلم الله عنه ، فتمرد على ربه مع إملاء الله إياه، وتركه تعجيل العذاب على كفره به ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان. وكانت

١- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، جزء ٣ ص ٣١،٣٢.

٢- التحرير والتنوير، جزء ٣، ص ٣٢، ٣٣، مرجع سابق.

نهايته أن عذبه الله سبحانه وتعالى بأضعف خلقه، وذلك بعوضة سلطها عليه توغلت في خياشيمه فمكث أربعمائة سنة يُعذَّب بها في حياته الدنيا.[1]

ثم ذكر ابن جرير الطبري روايات عن قصته وحاله ، وكيف سمع بإبراهيم عليه السلام وأخذ يعاديه ، والزمن الذي كان فيه النمرود ، والبلاد التي حكمها ، وحاله من شدة بطشه وتكبره واغتراره بقوته وسلطته ، وكيف كان ملكاً جبّاراً ومتكبراً على رعيته.

فالنمرود الجبار والدكتاتور الذي جلس على عرش الأفكار المهترئة وجهل الناس رأى جبروته وعظمته تهتزان.. .. لأنه كان يتصور نفسه إلهاً وحامياً مطلقاً على حياة وأموال الناس وأن رفاهة وأمن وسعادة وتعاسة وأفراح وأتراح وآمال ويأس الناس عُبّاد الأصنام رهنٌ بإرادته وإشارة يده، لم يكن وحده مقصراً إذ عرّف نفسه إلهاً، بل الخطاة هم الناس الذين أضفوا عليه هذه الصفات، ورغم أنه كان بحاجة دائمة إليهم كانوا يدعونه إلهاً، بينما هو لا يعدو أن يكون كأحدهم يتحكم فيهم وبيده موتهم وحياتهم.

كان غارقاً في غروره وعبادة ذاته دون فهم، وكان يصر بكل قوة على أن يدعوه الناس إلهاً فعالاً لما يشاء ويمدحوه ولا يخافوا غيره، ولا يتوجهوا إلا إليه، وكان جهل الناس عاملاً مساعداً في ذلك، وفجأة يظهر من يحطم هذا الحلم ويظهره على واقعه من العجز وقلة الحيلة ، وعدم الاتصاف بصفات الرب ، وعدم استحقاق هذا الاسم أيضاً فاهتز النمرود أمام هذه الأجوبة المفحمة

١- ابن جرير الطبري (٣١٠)هـ، قصص الأنبياء، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤م)، ص ١٧٩.

وبُهت ورأى كم هي حججه واهية أمام قوة حجّة النبي إبراهيم عليه السلام فخار وانكشف كذبه وزيفه.[1]

***الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجال السلوكي العام والمجال الفني / المهني للمربين :**

١. أسلوب ضرب الأمثال منهج تربوي وطريقة للتدريس في تقريب المعاني إلى أذهان الدارسين.
٢. أن يتعلم الإنسان في حياته اليومية أهمية التواضع وأن يعرف قدره، فلا يزهو بنفسه ولا يستعلي على الخلق لأن هناك من هو أعظم منه وأقوى، وأقدر عليه وقد يسلبه ما آتاه من النعم.
٣. شكر النعمة من الأسباب الموجبة لدوامها وكفرانها من الأسباب المؤدية إلى زوالها ، فالمسلم يشكر الله دائماً على نعمه.
٤. أن العظمة والقوة والجبروت هي من صفات الله عزوجل وليست لأحد من خلقه ، فلا يجوز للإنسان أن ينازع الله في صفاته، ومن فعل ذلك فإن الله معذبه لا محالة كما كان حال الأمم السابقة.
٥. أن التعلم يحتاج إلى صبر ومصابرة والإتيان على النفس مع ما يكون فيه من مشقة وجهد شديد حتى يحصل الإنسان العلم.
٦. احترام التخصصات من قبل المعلم ومراعاة القدرات عند الطالب ، واختيار المال الذي ينفع الطالب من أهم الأسباب التي تؤدي إلى

١- د. شريف الرحماني، نفحات أخلاقية وعرفانية في القصص السعادية، (بيروت: دار المحجة البيضاء ١٩٩٢م)، ص ٨٥،٨٦،٨٨.

نجاح العملية التعليمية وحصول الفائدة واستخدام الأدلة والبراهين المفحمة للخصم وتدريب المعلم على أسلوب الإقناع والحوار البنّاء

** ** **

(٢)قصة ابني آدم عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في سورة المائدة في قوله :

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (١)

هذه القصة في هذه الآيات من سورة المائدة وقعت موقع التسلية والتخفيف للمسلمين في أن كل من خصه الله تعالى بالنعم العظيمة في الدين والدنيا فإن الناس ينازعونه حسداً وبغياً ، فلتضيف هذه الأحوال على القلب ذكر هذه القصة وغيرها من القصص في السورة الكريمة.

فذكر هذه القصة عن ابني آدم وأن أحدهما قتل الآخر حسداً منه على أن الله تعالى قبل قربانه، فدلت الآيات على أن كل ذي نعمة محسود.

والقصة أن ابني آدم قابيل وهابيل وقعت بينهما منازعة ، وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب زرع، فقرب كل واحد منهما قرباناً، فطلب هابيل أحسن شاة كانت في غنمه وجعلها قرباناً، وطلب قابيل شر حنطة في زرعه فجعلها قرباناً ، ثم تقرب كل واحد منهما بقربانه إلى الله تعالى ، فنزلت نار

١- سورة المائدة الآيات:٢٧:٣١

من السماء فاحتملت قربان هابيل ولم تحتمل قربان قابيل ، فعلم قابيل أن الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله.

وفي رواية أنهما تنازعا على الزواج من أختيهما ، فطلب منهما آدم أن يقربا قرباناً فتقبل الله قربان هابيل فقتله قابيل حسداً له، لكن القول الأول هو المختار من عامة أصحاب الأخبار.

وسبب قبول أحد القربانين ورد الآخر أن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال ، فقد قال الله تعالى في حكاية القصة: (إنما يتقبّل الله من المتقين)، وبعد أن أراد قابيل قتل هابيل وغلب على ظن هابيل هذا الأمر، قال له: إنك إذا قتلتني فإني لم أكن لأقتلك، وإذا فعلت أريد أن تبوء بعقوبة قتلي، لأنه يجوز للمظلوم أن يريد من الله عقاب ظالمه، فسهلت له نفسه قتل أخيه، فكأن النفس جعلت بوساوسها العجيبة هذا الفعل كالسهل عليه، وروي أن قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل، فظهر له إبليس وأخذ طيراً وضرب رأسه بحجر، فتعلم قابيل ذلك منه، ثم إنه وجد هابيل نائماً يوماً فضرب رأسه بحجر فمات، فخسر دنياه وآخرته.

وبعد قتله لم يدر ماذا يفعل به ، فبعث الله له معلماً يدله كيف يفعل بأن أرسل له طيرين فاقتتلا ، فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة، فتعلم قابيل ذلك من الغراب. وبعدها تحسّر وتلهف واعترف على نفسه باستحقاق العذاب وبعجزه عن إكرام أخيه بعد موته بأن يدفنه كما فعل الغراب فصار بعدها من النادمين على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله

وسخط عليه بسببه أبواه وإخوته، وبسبب فعلته هذه كتب الله عز وجل على بني إسرائيل القصاص.[١]

وكان هابيل صاحب حلم، يصبر على أخيه قابيل في جنونه وثورته، وكان هابيل قوي يقدر أن يقتل قابيل ويستطيع أن يبطش به لكنه يخاف الله في أخيه، ويتوعده إن أقدم على قتله أن يتحمل ذنوباً لا طاقة له في حملها، وفي غضب الله عليه وأن جاءه على فعلته إن فعلها النار ومع كل ذلك وكل هذا التحذير الأخوي يُقدم قابيل على قتله ثم بعد أن أفاق من سيطرة الشيطان يبكي ندماً وحسرة على فعلته بأخيه.[٢]

فقد جاءت هذه القصة لتبين صدق وإخلاص طرف، وسوء نية وعدم تقوى الطرف الآخر، وكيف كان الحسد والبغض سبباً في قتل أحد الأخوين الآخر. بعد ما قدمه هابيل من وعظ لأخيه، وتطهير لقلبه، وتذكير له بما تقتضيه الأخوة من التسامح والبر، والتحذير له من مصير القاتل، ومع ذلك لم يستمع له وارتكب جريمته البشعة وسولت له نفسه هذا الفعل وزينته له حتى أقدم عليه دون تردد، فجاء بعدها الحسرة والندامة بعد أن أعطاه الله درساً وشبه حاله بحال الغراب الذي قتل أخاه فأصبح من النادمين المتحسرين المتأسفين على قتله ظلماً وحسداً.[٣]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجال السلوكي والفني :

١- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، جزء ٤ ، ص ص ٣٣٦-٣٤٢.

٢- محمود زهران ، قصص من القرآن الكريم ، (القاهرة: مكتبة غريب)، ص ١٠-١٤.

٣- د. محمد سيد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، (مصر: دار المعارف، ١٩٩٥م) ص ٤٧-٥٢.

١. أن تقوى الله تعالى والإخلاص له في القول والعمل أساس لقبول ما يصدر عن الإنسان من تصرفات وأفعال.
٢. أن الناس في كل زمان ومكان فيهم الأخيار وفيهم الأشرار، فعلى المرء أن يتبع طريق الخير وأهله ، ويبتعد عن طريق الشر وأهله وينصحهم ويعظهم بالكلمة الطيبة وبالقدوة الحسنة وإلا فليهجرهم ولا يصاحبهم.
٣. أن الحسد من الرذائل التي إذا تمكنت في النفس أوردتها المهالك، وزينت لها الظلم والبغي والجور.
٤. أن صاحب النعمة عليه المداومة على شكر الله عليها والاستعانة به على دوامها ورد كيد الحاسدين عنه في إرجاع هذه النعمة لله ، وأنه لا حول له ولا قوة في تحصيلها ، وأن صاحب النعمة دائماً محسود.
٥. أن ندم الإنسان عما بدر منه من أخطاء لا يعفيه من العقوبة لكنه قد يكون سبباً في تخفيفها عنه إذا كان صادقاً في رجوعه وتوبته.
٦. أن الإنسان قد يفعل الفعل فيكون سبباً في غضب الله ، فيعاقب الناس عقوبة جماعية ويشدد عليهم بسبب فعله فيكون عليه وزر الناس جميعاً.
٧. أن الإنسان قد يتعلم ممن هو أدنى منه في القدر والمنزلة والعلم لأن الله قد يجري العلم والحكمة على أضعف خلقه.

٨. أن التعلم العملي والميداني أبقى للأثر وأشد ترسيخاً في النفس من التعلم النظري القائم على التلقين.
٩. أن للإنسان كرامة ينبغي المحافظة عليها، فالدفن من أنواع التكريم له حتى لا يتغير ويسوء منظره أمام الناس.

** ** **

(٢)قصة موسى مع فرعون وأعوانه

ذكرها الله سبحانه وتعالى في سبعة عشر موضعاً في القرآن الكريم ، ولكني أتعرض هنا بالدراسة لموضوعين. الأول من سورة الشعراء من الآية (١٠) إلى الآية (٦٨) والتي قال الله تعالى فيها:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾[١]

والموضع الثاني في سورة غافر من الآية (٢٣) إلى الآية (٤٦)، والتي ذكر الله فيها حال فرعون مع أعوانه وأشهرهم هامان وذكر فيها قصة مؤمن آل فرعون وتبدأ الآيات بقوله تعالى: ﴿ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ .... ﴾[٢].

ففي سورة الشعراء افتتح الله عز وجل الآيات بتذكير النبي عليه الصلاة والسلام بقصة موسى، وسوق هذه القصة تمثيل لكفار قريش لتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، بأن سيدنا موسى قد كُذّب من قبل وهذه حكايته مع قومه، وقد أمر الله عز وجل سيدنا موسى بدعوة قومه إلى التقوى مع أنه تعالى نفى التقوى عنهم، وكان رد سيدنا موسى عليه السلام ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾ ﴾[٣] لعظم قوة فرعون وتألهه وطول مدته وما أُشربت القلوب من مهابته، وكان سيدنا موسى قد حُلق عليه حِدَّة وكانت في لسانه حَبْسة بسبب الجمرة في طفولته، وكان هارون وزيراً فصيحاً واسع الصدر، ثم

١- سورة الشعراء الآيات :١٠:١١
٢- سورة غافر الآيات :٢٣:٢٤
٣- سورة الشعراء من الأية :١١

ذكر موسى خوف القبط من أجل ذنبه وهو قتله الرجل الذي وكزهُ، فجاء الرد الإلهي أن لا تخف ذلك لأني لم أُحمِّلك ما حُمِّلت إلا وقد قضيت بظهورك ونصرك، وكان أمر هارون بأمر موسى لأن هارون ليس بمكلَّم، ولكن قال لموسى (اذهبا) أي أنت وأخوك.

والآيات التي أعطاها الله له هي كل الآيات وأعظمها العصى الذي وقع بها العجز واليد البيضاء، وكان أن طمأنه الله عز وجل أنه تعالى مستمع معه، على نحو التعظيم والجبروت لله تعالى (مستمعون)، وكان القصد منه إظهار التهمُّم ليعظم أمن موسى عليه السلام، أو تكون الملائكة بأمر الله لها مستمعة.

وكان موسى عليه السلام مبعوثاً إلى فرعون بأمرين: الأول: أن يرسل لبني إسرائيل ويزيل عنهم ذلّ العبودية والغلبة، والثاني: أن يؤمن فرعون ويهتدي.

فجاء رد فرعون عليه على جهة المنِّ والاحتقار أننا ربيناك صغيراً ولم نقتلك في جملة من قتلنا فمتى كان هذا الذي تدعيه؟ وأنك قتلت القبطي وأنت في قتلك إياه من الكافرين إذ هو نفس ولا يحل قتله، فكان رد موسى أنني فعلت ذلك وأنا جاهل بأن وكزتي إياه تأتي على نفسه، وأن الله بعد ذلك آتاني النبوة وحكمها، ثم حاجّه عليه السلام في منّه عليه بالتربية وترك القتل في أنها ليست نعمة في مقابل ما فعلت في بني إسرائيل من الظلم والقتل.

ولما لم يُجْدِ فرعون-لعنه الله-هذا الطريق من تقريره على التربية رجع إلى معارضة موسى عليه السلام في استفهامه عن رب العالمين استفهاماً عن مجهول من الأشياء، فأجابه موسى عليه السلام بالصفات التي يتبين السامع منها أنه لا مشاركة لفرعون فيها، وأنها ربوبية السموات والأرض، وهذه

المجادلة من فرعون تدل على أن موسى دعاه إلى التوحيد، ثم زاد موسى في بيان الصفات التي تُظهر نقص فرعون، وتبين أنه في غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون إلا ملك مصر فقط.

فلما انقطع فرعون-لعنه الله-في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعّد موسى عليه السلام بالسجن ، وهذا فيه ضعفه لأنه حارب طباعه معه ، وروي أن سجنه كان أشد من القتل، إذ كان في مطبق من الأرض لا ينطلق منه أبداً وكان مخوفاً.

وكان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى ما لا يردعه توعد فرعون فقال علي جمعة : "التلطف مع فرعون والطمع في أن يأتيه بشيء بيِّن على صدقه، وهي معجزة العصا واليد البيضاء، فلما رأى فرعون ذلك هاله، ولم يكن له مدفع غير أنه فزع إلى رميه بالسحر وطمع بمعارضته لعلو علم السحر في ذلك الوقت، فقال للملأ حوله إنه يريد إخراجكم من الأرض ، فأشاروا إليه في جمع السحرة لمقاومته في يوم الزينة الذي يجتمع فيه الناس، فطلب السحرة من فرعون القرب منه والأجر في حال ظهورهم، وكان أن طلب موسى إليهم إلا يلقوا أولاً، فألقوها وأقسموا بعزة فرعون إنهم سيغلبون، فجاء الرد الإلهي على سحرهم بعد أن ألقى موسى عصاه أنها أكلت حبالهم وعصيهم، وعندما رأى السحرة أن هذه العصا خالية من السحر ورأوا فيها قوة الله أذعنوا وآمنوا فسجدوا لله تعالى مقرين بالوحدانية، فعندما رأى فرعون أن أهل علمه قامت الحجة فيهم على صدق موسى عليه السلام بإيمانهم قال لهم موبّخاً على إيمانهم بموسى دون إذنه ، وأنه هو الذي علمهم السحر وتوعدهم

بالعذاب ، فما كان منهم إلا أن صبروا واحتسبوا بأن مرجعهم إلى الله فيجازيهم على إيمانهم بالجنة وغفران الذنوب.

ثم أراد الله إظهار أمر موسى بنجاة بني إسرائيل وغرق فرعون ، فأمر موسى بالخروج ببني إسرائيل من مصر عن طريق البحر ، وأن فرعون سيتبعهم هو وجنوده فيكون هلاكه بالغرق في البحر، وكانت سنّة الله تعالى في أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فلم يستمتعوا بالمال والجنات ، وإنما كانت غنيمة لبني إسرائيل بسبب إيمانهم.

ثم ظهر لبني إسرائيل معجزة أخرى وهي فلق البحر بالعصا لما عَظُم عليهم لحاق فرعون بهم حتى كاد يدركهم، ومشوا على اليابسة التي كان البحر قد كشف عنها عند الفلق ، وبعد أن جاوزوه تبعهم فرعون ، فأمر الله البحر بالعودة كما كان فغرق فرعون ومن معه وكان آية لمن بعده في معاداته وتجبره على الله.(١)

أما عن الموضع الثاني الذي في سورة غافر وما كان من حال فرعون مع أعوانه – قارون وهامان-وقصة المؤمن الذي دعا قوم فرعون إلى الإيمان فسأتعرض لها هذه القصة في عنوان خاص لاحقاً-إن شاء الله-.

وكان مناسبة القصة أنه تعالى لما ذكر ما حل بالكفار من العذاب والدمار، أردفه بذكر قصة موسى مع فرعون تسلية للنبي-صلى الله عليه وسلم –عما يلقاه من الأذى والتكذيب، وبياناً لسنة الله تعالى في إهلاك الظالمين.

١- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦)هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (الدوحة وزارة الأوقاف القطرية، ١٩٨٥م)، جزء ١١، ص ص ٩٣-١١٧.

وأنه تعالى أرسل موسى إلى فرعون الطاغية الجبار ووزيره هامان وقارون صاحب الكنوز والأموال بالآيات البينات والمعجزات وهي معجزة العصا واليد، وخص الله تعالى هامان وقارون بالذكر من بين أعوان فرعون لمكانتهما في الكفر، ولأنهما أشهر أتباعه، وأنه لما جاءه موسى بالآيات كذّبه واتهم بالسحر وعذّب من آمن معه من بني إسرائيل بقتل الأولاد واستحياء النساء ليردهم عن دينهم، وأنه أراد أن يقتل موسى عليه السلام واستهزأ به أنه إن كان رسولاً فلينادي ربه ليخلصه مني ليهون أمره أمام الناس وليبين أنه لا قدرة له فكيف هو نبي؟ وادعى أنه يريد حمايتهم من الكفران بدينهم، ومن أن يفسد في الأرض بإثارة الفتن وتشريد الناس، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن دعا ربه بالاستجارة من كيد فرعون لأنه جبار ولا يقدر على جبروته إلا الله تعالى الذي له الجبروت الحق.

ثم لما قام مؤمن آل فرعون بدعوة قومه إلى الإيمان ما كان من فرعون إلا أن طلب من وزيره على الشر والكفر هامان ببناء قصر ليبلغ ذاك الإله ليبين للناس كذب هؤلاء الدعاة ليصدهم من الإيمان، إذ إنه خاف أن يتمكن كلام المؤمن من قلوب القوم. فما كان إلا أن أبطل الله عز وجل دعوى فرعون وأهلكه هو وأتباعه وأدخل هذا المؤمن الجنة.[1]

ففي عصر فرعون موسى كان بناء الشذوذ والإغراق قد اكتمل، فقد علا فرعون في الأرض وتفوق فيها ببسط السلطة على الناس وإنفاذ القدرة فيهم، وجعل أهلها شيعاً ورفع لافتة الحق الإلهي، وقد أسرف وتجاوز الحد في الظلم والتعذيب، وأنه طغى وأضل قومه، وكان بعد إعلانه لنفسه إلها هو المصدر

١- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (القاهرة: دار الصابوني، ١٩٩٧م)، جزء ٣، ص ٩١-٩٦.

الوحيد للتشريع في الأرض ، فبعث الله له موسى ليبين للناس كذبه وزوره وبهتانه.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

١. الوعظ والنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأولئك الذين ضلوا عن الطريق من أجل هدايتهم وإنقاذهم من العذاب.
٢. تأثير البيئة المحيطة بالشخص وتشجيعها له في الطغيان والضلال سبب رئيسي في بقائه على الخطأ والزلل وعدم التوبة والعودة.
٣. استخدام الأدلة والبراهين والآيات من أجل دعوة الخصم إلى الإيمان والخضوع ، وهي من الأساليب التربوية النافعة للطالب في إظهار الدليل على القول.
٤. الصبر على الخصم واستخدام المنطق في المجادلة والأدلة القاطعة التي لا يجد الخصم له منها منفذ أو انتقاد.
٥. موافقة السلوك مع ما يدعو إليه أدعى إلى قبول الطرف الآخر للعلم والدعوة وثباتها في نفسه.
٦. القوة البشرية المادية ليست بشيء أمام قوة الله عز وجل وجبروته وعظمته ، فهو قادر على كل شيء ويستطيع تغيير الأمور بقوله تعالى "كن".

١- سعيد أيوب، سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى ، القرى الظالمة في القرآن الكريم، (بيروت: دار الهادي ١٩٩٢م)، ص ١٩٣-١٩٤.

٧. أهمية التنوع في الأمثلة والتعدد ، ففي الأدلة لإثبات الشيء ما يؤدي إلى إيصال المعلومة إلى الطالب بسرعة وإدراكه لها ورسوخها.

٨. الأخذ بالأسباب مع الإيمان بقوة الله وقدرته على فعل أي شيء.

** ** **

(٤)قصة ابن نوح عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في سورة هود في الآيات التالية في قوله تعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] .

فإنه تعالى ذكر حال قوم نوح معه ، وما كان من تكذيبهم ، وانتهاء الحال بهم إلى العذاب بالغرق ، ونجاة نوح وأهله المؤمنين مع زوجين من كل

١- سورة هود الآيات:٤٢:٤٧

نوع من أنواع الحيوانات، وما كان من عظم الموج الذي تسير فيه السفينة حتى وصفه تعالى بأنه كالجبال، ورأى نوح أن ابنه ليس ممن ركب السفينة، فناداه ليركب حتى ينجو، وفي هذا النداء تضمين بالدعوة له بالإيمان بالله لأنه كان لا يزال على دين القوم، ففي النداء دعوة للإسلام والنجاة وترك الكفر، فكان ردهُ أنه سيحتمي من هذا الفيضان بالجبل، لكن نوح عليه السلام كان موقناً أن الله لن ينجي إلا من ركب معه في السفينة، وهو في أثناء ذلك حال الموج بين الأب والابن، فغرق الابن بعد أن ظن بجهله أن هذا الطوفان لن يبلغ رؤوس الجبال، وتحركت شفقة الأب، وطلب من ربه نجاة ابنه وإنفاذه وعده إياه بنجاة أهله وأن ابنه هذا من أهله، فجاء الرد الإلهي أن هذا ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم، لأن الوعد كان بنجاة من آمن منهم، وكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه، وكان التعليل لانتفاء كونه من أهله أنه عمل غير صالح وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب. ونهاه الله عزوجل عن السؤال الذي لا يجوز له أن يسأله، فتاب إلى الله واستغفر واستجار به تأدباً واتعاظاً.[1]

وكانت هذه المشاهد وهذا النداء من نوح عليه السلام ورفع صوته بالاستغاثة من المضطر الذي اشتد به الضر وهاج به الوجد على ابنه. ولم يكن سؤاله لربه على وجه التضرع وإنما الاستفسار عن حقيقة الأمر. وكان الموج يضرب بكل عنف وأن الماء أطبق جميع الأرض وارتفع على رؤوس الجبال،

١- سعيد حوى، الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، ١٩٨٥م). جزء ٥، ص ٢٥٥٨،٢٥٥٧.

وأنه أدرك نوح في النهاية أن عناية الله حالت بينه وبين الهلكة ، فشكر ربه واستعاذ بمغفرته ورحمته.[1]

١- الانحرافات الكبرى، ص ٥٦،٥٧، مرجع سابق.

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:-

١. أن العقيدة هي الرابط الأساسي بين البشر فأخوة وأبوة الإيمان أعظم من أي نسب أو سبب.
٢. تأثير البيئة المحيطة في إيمان المرء أو كفره ، فالأصحاب والعشيرة والأهل والتربية لها أكبر الأثر في استقامة الإنسان أو انحرافه.
٣. الأخذ بالأسباب عاملٌ أساسي للنجاة، لكن تبقى قدرة الله وقوته فوق كل شيء ، فهو يقول للشيء كن فيكون.
٤. تأثير الأم في التربية على نشأة الأبناء ، فقد كانت زوجة نوح عليه السلام كافرة مما سبب في كفر ابنها.
٥. هذه القصة عزاء لمن يفسد أبناؤه ويبتعدوا عن طريق الحق، مع كون أباه من الصالحين كما هو حال الإمام مالك رحمه الله مع ابنه.
٦. حسن الأدب مع الله عز وجل في الخطاب ونسب النقص إلى النفس، وفي هذا سلوك تربوي جيد ليحسّن الطالب أدبه في خطاب معلمه داخل الصف.
٧. مراعاة الفروق الفردية في العملية التعليمية ، فقد يستوعب بعض الطلاب الأمور والعلم بسرعة بينما يعسر على آخرين ، فعلى المعلم مراعاة ذلك واتباع الأسلوب المناسب لهم

** ** **

(٥)قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف

ذكرها الله عز وجل في الآيات من سورة الكهف من الآية (٣٢) إلى الآية (٤٤) والتي قال فيها تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ... ﴾[1] .

يقول الله تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين، أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع ؛ وكل من الأشجار و الزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، وفيهما الأنهار متفرقة هنا وهناك، فقال صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس أنا أكثر خدماً وحشماً وولداً.

وعندما دخل جنته بكفره وتمرده وتجبره وإنكاره للمعاد ، قال : إنها لن تبيد اغتراراً منه لما رأى فيها الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة. وادعائه أنه عند المعاد إن كان هناك رجعة ليكون له أحسن من هذا الحظ ، وأن الله أعطاه هذا في الحياة الدنيا لكرامته عنده.

١- سورة الكهف الآيات :٣٢:٣٣.

فأجابه صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار، وأنكر عليه ما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ، ثم جعل سلالته من ماء مهين، ثم صار رجلاً قوياً، ولا أقول بمقالتك الكافرة ، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية، وحثه على شكر نعمة الله عليه وحمده إذا دخل جنته وأعجب بما فيها ، وما أعطاه الله له من المال والولد، وأن المؤمن آثر الآخرة وطلبها على الدنيا ودعا على جنته التي ظن الكافر أنها لن تبيد ولن تفنى بالبوار، فاستجاب الله له ووقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن ، فصفق كفيه متأسفاً متندماً، وكانت الولاية والقوة لله الواحد الأحد.[1]

وقصة صاحب الجنتين تدور حول تصحيح العقيدة، وهي قصة حدثت وتكررت على مستوى الفرد والدولة والجماعة ، تصور حالة من حالات الغرور والطغيان تحدث عند بعض الناس نتيجة تملك عَرَض من أعراض الدنيا الفانية، مال أو جاه أو سلطان، مما يجعله ينسى نفسه وأن المرجع والمآب إلى الله، وقد تدفعه هذه الحالة إلى التطاول على المؤمنين وتنقصهم واتهامهم بأنهم لم يحسنوا التعامل مع الدنيا، ولم يفهموها على حقيقتها.

وفي مواجهة هذا الصنف، يعتز المؤمن بإيمانه، فلا ينخدع بظل زائف وزخارف ونقوش سرعان ما تنتهي، فقد علم من خلقه ولماذا خلقه وإلى أين المصير؟ لذلك هو يواجه صاحبه المبطل الذي أعمته الدنيا عن الدين.

فالنعمة تستوجب الشكر لا الجحود والكفر ومن جهل ذلك اليوم فغداً لا محالة سينجلي وينكشف الأمر له، والخوف كله من أن يضرب الإنسان كف

١- ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الخير، ١٩٩٠م) جزء ٣ ، ص ٩٣ ، ٩٥.

نادم بعد فوات الأوان، فالقصة تعرض سنة من سنن الله الماضية في خلقه، وهي سنّة التدافع بين الإيمان والكفر والحق والباطل ، وفي ثنايا ذلك تأتي المشاهد المتقابلة، مشهد النماء والازدهار المتمثل في الجنتين، إلى مشهد الدمار والبوار ومشهد البطر والاستكبار المتمثل في صاحب الجنتين المشرك إلى مشهد الندم بعد فوات الأوان.

فسورة الكهف من السور المكية التي جاءت لتثبيت العقيدة وتثبيت فؤاد النبي عليه السلام وأصحابه للثبات والاستمرار فجاءت تؤدي الغرض، فإن كان كفار مكة قد افتخروا بأموالهم وأشياعهم على فقراء المسلمين، فهذا من الجهل بمكان ، وهو لا يستوجب الافتخار لاحتمال أن تنقلب الحال ، وإنما الفخر الحقيقي هو بالإيمان.[1]

ويعرض الله سبحانه وتعالى في هذا النص قصة حوار ديني جرى بين رجلين جمعت بينهما صحبة، وكان الحوار حول قضيتين:

الأولى . قضية الإيمان بالله الخالق الرب الذي لا شريك له في ربوبيته، فلا شريك له في إلهيته

والثانية . قضية الإيمان باليوم الآخر الذي يحاسب الله تعالى الناس على ما قدموا وأخروا في رحلة الحياة الدنيا ، ثم يجازيهم في جنات النعيم أو في النار بعذاب أليم.

وكان أحد الرجلين كافر بهاتين القضيتين بتأثير الغرور بزينة الحياة الدنيا وفتنتها، فهو ذا إثراء وسعةٍ من العيش وزينة من الحياة الدنيا وذو قوة

١- د. سعيد عبد العظيم، قصص القرآن عظات وعبر، (الإسكندرية: دار العقيدة للتراث، ٢٠٠١م)، ص ٥٩-٦١.

بأنصاره من أولاده وغيرهم، ولقد أنساه ما هو فيه من نعمة أن الله عز وجل هو الذي آتاه هذا.

أما الآخر فكان رجل مؤمن داعية إلى دين الله ، حريص على هداية الضالين وإرشادهم إلى الله إلا أنه لم يؤت سعة من المال ولا كثرة من الأولاد والأنصار ، فجاءت معاقبة الله لهذا المغرور وتأديبه ليرده إلى صوابه ويوقظه من غفوته ، ويقدم ما يقنعه بالجزاء المؤجل يوم الدين ، فأتلف جنته ولم يكن له فئة من دون الله ينصرونه فيحمون جنته من الإتلاف ، وما كان هو بقوته منتصراً على مقادير الله العقابية، فندم وقلّب كفيه على فقد جنته ، فاتعظ بما جرى له ، فصار يقول مكرراً يا ليتني لم أشرك بربي أحداً.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

١. ضرب الأمثال وتشبيه حال بحال من الأساليب التربوية الجيدة لإيصال المعلومة بسرعة إلى ذهن الطالب فكأنها شيء واقع أمامه.
٢. النصح والإرشاد للصاحب من الصفات الطيبة في الإنسان فعلى المسلم أن يحرص على نصح صاحبه وإنقاذه من الشر.
٣. أن النعم تحتاج إلى شكر لتدوم وتبقى ، وأن خير المال المال الحلال في يد الرجل الصالح ينفق منه في سبيل الله، وأن الإنسان لا يُعيَّر بفقره لأن هذا رزق الله.
٤. فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها ، وفضل الفقر والجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من ملذات الدنيا ، وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات.

١- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م)، ص ٤٩٠-٥٠٤.

٥. السعي إلى تحصيل خير الآخرة والحرص عليها أكثر من الدنيا وحسن الظن بالله.
٦. أن قوة الله لا حدود لها فقد تدمِّر أي شيء بأمر "كن".
٧. الندم لا ينفع حيث لا مناص من أمر الله تعالى وعندما يقع القدر.
٨. أهمية النظام في حياة المتعلم، كما كانت الجنتان منظمتين أحسن نظام.
٩. الاهتمام بالنواحي الجمالية في فناء المدرسة كالتشجير ونباتات الزينة مما يشجع على الدراسة.

(٦)قصة قارون صاحب فرعون

ذكرها الله عز وجل في سورة القصص في الآيات من (٧٦) إلى (٨٢) والتي قال الله سبحانه فيها:

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ..... ﴾[1] .

كان قارون-لعنه الله-من بني إسرائيل واختلف في قرابته من موسى عليه السلام ، وأكثر الروايات على أنه ابن عم موسى، فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره ، أو تكبر عليهم وعد من تكبره أنه زاد في ثيابه شبراً ، و ظلمهم وطلب ما ليس حقه ، وأن الله تعالى أعطاه من الأموال المدخرة ما كانت مفاتيح صناديقه تثقل حتى تميل الجماعة الكثيرة، ثم إن قومه وعظوه بعد الفرح والبطر بالدنيا نتيجة حبها والرضا بها، وأن يقصد من هذه الكنوز والغنى الدار الآخرة وثوابها بصرفها إلى ما يكون وسيلة إلى الآخرة، مع عدم نسيانك حظك من الدنيا ، وأحسن إلى عباد الله كمثل إحسان الله إليك بأن آتاك كل هذه النعم ، وأن يترك الفساد في الأرض والظلم والجور.

فكان رده عل من نصحه في أن ما هو فيه من النعم والأموال والذخائر كانت من الله من غير سبب واستحقاق من قبله بأن قال: إن ما أوتيته كان لي من الله لعلم مختص بي دونكم ، فرد الله عليه تنبيها على خطئه في اغتراره

١- سورة القصص الأيات :٧٦:٧٧

وعلمه أنه ليس من عنده وإنما كان من عند الله تعالى ، وأنه تعالى كان قادراً على إهلاكه كما أهلك من هم من قبله ممن كان أكثر منه قوة معنوية وحسية وأكثر مالاً ونفراً حتى لا يغتر بما اغتر به.

وفي يوم خرج على قومه في زينته وحشمه ، فقال جماعة من ضعيفي الإيمان جرياً على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار إنه ليت لنا مثل ما له من المال إنه ذو حظ وبخت وسعد في الدنيا. فرد عليهم من كان ذا علم بأحوال الدنيا والآخرة بأن ثواب الله خير من مال هذا المغرور المتجبر ، وأن الله سيجزي الصابرين على الطاعات وعن المعاصي والشهوات .

ثم جاء الجزاء الإلهي لهذا المغرور أن خسف الله به وبداره وبماله الأرض ، وأنه يتجلجل في الأرض لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة، فلم تكن له جماعة يدفعون عنه عذاب الله ، وما كان هو قادر على دفع هذا العذاب عنه.

وبعد ذلك أدرك الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون بأن الله عز وجل له الحكمة في إيتاء من يشاء المال ، وفي حرمان من يشاء لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يوجب التضييق وإنما هو حكمة إلهية. وأن الله منّ على هؤلاء بأنه لم يعذبهم كما عذّب قارون بالخسف ، بل تجاوز عن تقصيرنا في تمنينا مثل ما أعطى قارون.

وجاء في النهاية التقرير الإلهي أن أجر الآخرة وثوابها لا يكون إلا للذين لا يريدون العلو والفساد في الأرض ، والذين لا يريدون الكفر والاستكبار ، وأن خير الجزاء والعاقبة يكون للمؤمنين المتقين.[1]

١- محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠)م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، (بيروت دار إحياء التراث العربي)، جزء ١٩-٢٠، ص ١١٠-١٢٥.

وقارون هذا اختاره فرعون لأنه بغى على الناس كلها وخاصة على بني إسرائيل، لقد كان مكلفاً بجباية الضرائب، وتوفير الأموال التي يطلبها فرعون مما صار قارون بذلك أغنى الناس ، ولكثرة أمواله هذه كان يمتلك عربات مرصعة بالبرونز والنحاس ومطعمة بالذهب والفضة التي إذا ركبها ومشى في زينته تحت أشعة الشمس توهج كالذهب ، وأنه أراد أن يؤلب بني إسرائيل على موسى بأن يغريهم بالمال والذهب ، فرد عليه العقلاء منهم أن ثواب الله خير مما هو فيه من المال والثراء.

وكان هذا انحرافا عن جادة الصواب ، بل عن الإيمان بالله إذ اغتر قارون بما له وذهبه وأنه من فعل مثل هذا الفعل كان له مثل مصير قارون، وما أن خرج قارون بذهبه وحشمه وخدمه إذ بالأرض تهتز وتتزلزل ، فتبتلع القصر ومن فيه خلال لحظة، وكان لهذا الخسف أبلغ الأثر في النفوس، فأدرك قومه أن هذه عاقبة الكبرياء والاستبداد وهي عاقبة المؤامرات على الأنبياء للنيل منهم.[1]

والمال نعمة كبرى من نعم الله تعالى ينعم به على بعض عباده ، فمنهم من يشكرها ويؤدي حق الله فيها ، ومنهم من يتخذها سلاحاً يهدد به الفقراء ويتعالى به على المساكين ، ويدعي أن هذا حصّله بجهده وليس لله عليه فيه فضل.

١- سميح عاطف الزّين، قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، ط٥ ، (الدار الأفريقية العربية، ١٩٩٧م)، ص ٤٢٨-٤٣٢.

وهذا ما كان من قارون ، ولما خسف الله الأرض به حمد المؤمنون الله على العافية ، وعرف الذين تمنوا مكانه بالأمس خطأهم فتابوا واستغفروا الله، فكان قارون عبرة لكل مغرور متجبر معجب بماله وسلطانه.(١)

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

١. أن النعم تحتاج إلى شكر ليديمها الله عز وجل ، وأن عدم شكرها وكفرانها سبب في زوال النعمة.
٢. أن العزة والكبرياء لله ، فمن نازع الله عز وجل في الكبرياء قصمه الله وعذبه كما عذّب قارون.
٣. أن النصيحة للإنسان واجب على كل مسلم، فعلى المسلم أن يسعى إلى نصح أخيه المسلم بما ينفعه في حياته وآخرته.
٤. عدم الاغترار بالمظاهر ، وعدم السعي إلى تحصيل الدنيا ونسيان الآخرة ، بل على الإنسان أن يسعى أولاً إلى تحصيل خير الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا ،وأن يستخدم المال كوسيلة للتوصل إلى طاعة الله ورضاه والفوز بجنانه.
٥. أن يسعى المسلم إلى تحصيل الرزق الصالح في الدنيا والتمتع به بما يرضي الله تعالى لأن الله خلق هذه النعم للمؤمنين ليتمتعوا بها في الدنيا بما يرضيه.
٦. الطبيعة الإنسانية متنوعة ،وعلى المعلم أن يراعي ذوي الاحتياجات الخاصة والضعاف، فهم يحتاجون إلى رعاية تعليمية ونفسية خاصة بهم.

١- د. محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٤م)، ص ١٢٧-١٣٠.

٧. مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين كما راعى القرآن الكريم الفروق بين الناس في الإيمان.
٨. التفكر في حكمة الله في خلقه من الإنعام على بعضهم بالمال الكثير، وعدم إعطاء الآخرين ، وهذا يكون في مصلحتهم ،فعلى المسلم أن يسأل الله الرزق ولا يعترض على قضائه .

السلوك الجماعي للجبارين في القرآن الكريم

(١)قصة قوم نوح عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في أحد عشر موضعاً ، ولكني سأتعرض هنا – فقط – لما ورد في سورة هود في الآيات من (٢٥) إلى (٤٨) التي قال فيها الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ... ﴾ [١]

وأتعرض بشكل سريع إلى الموضع في سورة الأعراف في الآيات من (٥٩) إلى (٦٤) في قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ... ﴾ [٢]

بعد أن ختم الله عز وجل بالحث على التذكير في قصة سيدنا موسى عطف عليه ذكر نبأ غيره من الرسل تثبيتاً و تسلية وتأييداً وتعزية للنبي عليه الصلاة والسلام لئلا يضيق صدره بشيء مما أمر بإبلاغه حرصاً على إيمان أحد ولو كان أقرب الناس إليه ، لأن نوحا أُرسل إلى قومه ، وكان حريصًا على إيمانهم وإنذارهم عذاب الله تعالى إذا عبدوا غير الله. فما كان من رؤساء القوم إلا أن صدوه ، وقالوا إنما أنت بشر آدمي مثلنا ، فكيف تدعي النبوة ، وأن الذين اتبعوك هم أدنى الناس عندنا كالحائل، وكان اتّباعهم لك بديهة من غير تأمل، وهذا لا يدل على سداد للشيء الذي اتبعوه لسببين : الأول:

١- سورة هود الآيات :٢٥:٢٦

٢- سورة الأعراف الآية:٥٩

رذالتهم في أنفسهم. والثاني: أنهم لم يفكروا فيه. وأنه لا فضل لكم في مال وعز علينا مما يدل على كذبكم.

ثم بدأ سيدنا نوح عليه السلام بالجواب على قولهم مبيناً لضلالاتهم غاضاً الطرف من شفاعتهم شفقة عليهم ومحبة لنجاتهم ، فقال: (يا قومي)، مكرراً هذه اللفظة تذكيراً لهم أنه منهم حتى تمنعهم القرابة من حسده أو اتهامه، في حين أنه إن كان على برهان ساطع مصدقه ، وبما جاء به من عند الله أنه آتاه النبوة وأكرمه بها وهي عميت عليهم لضعف عقولهم ، فهل ألزمكم بها وأنتم كارهون لها ، وفي هذا إشارة إلى أنها لم تعم عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها ، ولكنهم تركوها لعنادهم ونفيهم فضله.

ثم أبان لهم أنه لا يريد منهم شيئا من مال أو أجر ، وإنما يريد الأجر من الله ، فلم يكن يريد الغرض الدنيوي لأن هذا أدعى إلى نفور المدعو عنه وعدم تصديقه، وأنه أخبرهم أن هؤلاء الذين تزدروهم لن أطردهم لأنهم أقروا بالإيمان لله وحده ، فإنهم سيلاقون الله المحسن إليهم بعد إيجادهم وهدايتهم ، وإنما أنتم تفعلون أفعال الجهل فتكذبون الصادق وتعيرون المؤمنين بما لا يعنيهم وتنسون لقاء الله.

ثم أخذ نوح عليه السلام ينفي عن نفسه الاتهامات التي يوجهونها له ويريدونها منه في أنه لا يملك مفاتيح خير الدنيا ، وفي أنه لا يعلم الغيب ، وفي أنه ليس بملك، حتى تطلبوا مني ذلك ، ولا أقول لكم إن الذين تحتقرون من أتباعي لن يجازيهم الله خيراً على إيمانهم ، وإنما أمرهم إلى الله ، وإن فعلت ذلك كنت ظالماً جائراً.

فكان ردهم عليه لما استوفى ما أبرموه من أقوالهم أنك أردت فتنتنا وصرفنا عن آرائنا بالجدال وأكثرت من ذلك ، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت صادقاً في وعدك ، فرد عليهم أن هذا العذاب بيد الله يبعثه متى أراد ، وأن نصحي وتذكيري لكم لن ينفعكم إن أراد الله أن يضلكم ويركبكم غير الصواب ، فإن إرادة الله تغلب إرادة العبد فهو ربكم وهو أدبر بكم.

فأوحى الله إلى نوح عليه السلام أن يصنع السفينة لأنه لن يؤمن له إلا من آمن، وكان هو يصنع السفينة وقومه يهزأون منه لأنه يصنع السفينة في مكان ليس فيه ماء ، وكان هذا الأمر لأن عذاب الله آت لا محالة لإغراق القوم الظالمين ، وجعل الله علامته أن يرتفع الماء في البئر ،وأمره أن يحمل في السفينة المؤمنين ،ومن كل نوع من الحيوانات زوجين لأن الماء سيعم الأرض جميعاً، وبعد الركوب في السفينة كان الموج كالجبال ،وحدثت قصة ابن نوح- سبق الكلام عنها- ثم أمر الله الأرض أن تبلع الماء ، وأن تقلع السماء عن الإمطار ،ورست السفينة على الجودي ،وحمد نوح ربه على نجاته ونجاة المؤمنين.[1]

وفي سورة الأعراف عرضت بشكل سريع لقصة سيدنا نوح وحاله مع قومه وأنه أخبرهم أنه جاء لإصلاحهم وإرادة الخير لهم ،ثم إنهم رفضوا دعوته واتهموه بالضلال ،فما كان جزاؤهم إلا الغرق وأنجاه الله بالسفينة هو ومن آمن معه.[2]

١- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥)هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، جزء ٣، ص ٥١٩-٥٤٠.

٢- صفوة التفاسير، جزء ١، ص ٤١٩،٤٢٠. مرجع سابق.

فالقرآن الكريم ينبئ أن قوم نوح كانوا أهل أوثان، فبعث الله إليهم نوحاً يخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق، والعمل بما أمر الله به رسله ، وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن فشكاهم نوح إلى الله تعالى واستنصره عليهم ، فأوحى الله إليه بصنع السفينة لأنه سوف يوقع العذاب بهم وجعل التنور له آية على وقوع العذاب.[1]

كان خروج القوم عن سنّة العدل الاجتماعي التي أودعها الله في أعماق الفطرة فقاموا بتصنيف عباد الله وفقاً لما عندهم من أموال وأولاد وجاه أو مكانة ،ثم كفروا وعكفوا على أصنامهم ،وصدوا عن سبيل الله يحافظون على الأصنام تحت لافتة سنة آبائهم القومية ،أو يصدون عن سبيل الله بطرح عادات وتقاليد وثقافات لا تدع لفكر الفطرة سبيل داخل المجتمع وأمر مثل هذا استوجب بعث الرسول لإنذارهم ،ثم إيقاع العقوبة عليهم لكفرهم وصدهم عن الدعوة.[2]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١. أن لا يكون لأي داعية إلى فكر ما غرضه الدنيوي من تحصيل مالٍ أو جاه أو منصب لأن هذا سبب في رفض فكره وعدم قبول دعوته.
٢. أن يعدل المعلم في معاملته بين طلابه ،فلا يميز أحدهم على الآخر لغرض من أغراض الدنيا ،فالعدالة في الصف الدراسي وفي التعليم

١- قصص الأنبياء – لابن جرير الطبري، ص ٩٦-١٠٤، مرجع سابق.
٢- الانحرافات الكبرى، ص ٣١،٣٢، مرجع سابق.

والتقويم أساس لنجاح عملية التعليم ، وخلق الألفة والمودة بين الطلاب.

٣. احترام التخصصات المهنية في الحياة وتنشئة الطلاب على حب التربية الحرفية وتعلم الحرف والمهن العملي التي تساعد على نمو المجتمع.

٤. أن لكل بداية نهاية ،فكما تبدأ الدعوة إلى الله وما يجد الداعية فيها من الصعوبة تنتهي بنصر الله له وتأييده على الكفار.

٥. الأخذ بالأسباب وبذل الجهد في كل عمل يقدم عليه الإنسان ،ثم بعدها يتوكل على الله في أموره.

٦. التلطف بالمدعو ومراعاة حاله واستخدام أسلوب لين معه ليؤدي إلى إيمانه.

** ** **

(٢)قصة قوم إبراهيم عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في أربعة مواضع في القرآن الكريم، سأتناول هنا بالذكر ما ساقه الله من قصة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء في الآيات من (٥١) إلى (٧٢) في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ... ﴾[١]

وما ذكره الله عز وجل عنه في سورة الشعراء من الآية (٦٩) إلى الآية (٨٩) التي قال الله تعالى فيها:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ... ﴾[٢]

بيّن الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء نعمته على خليله إبراهيم عليه السلام الذي آتاه الاهتداء لوجوه الصلاح من قبل الأنبياء الآخرين كموسى وهارون ، أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، أو من قبل استنبائه أو بلوغه ، وأنه تعالى كان يعلم أنه أهل لما آتاه وجامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال.

فقال في وقت من أوقات رشده محقراً للتماثيل التي يعبدها أبوه وقومه وموبخاً على إجلالها دون الله تعالى ، وهي لا تستحق ذلك متسائلا: ما هي هذه التماثيل التي تستحق هذه العبادة ؟، فكان ردهم أنهم وجدوا آباءهم لها

١- سورة الأنبياء الآيات:٥١:٥٢
٢- سورة الشعراء الآيات:٦٧:٧٠

عابدين فقلدوهم، فرد عليهم إنكم أنتم وآباؤكم ضالون بعبادتكم هذه، فردوا عليه أنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله كان على وجه الملاعبة ،فأضرب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه أن الرب الحقيقي هو رب السموات والأرض الذي خلقهن ،وأنه يؤمن به ،ثم توعد آلهتهم بالكسر بعد ذهابهم إلى عيدهم،فقطعها أجزاءً وترك الصنم الكبير وعلّق الفأس في رأسه ليسألوه ويقيم الحجة عليهم بذلك.

وعندما رأوا ما حل بآلهتهم من التحطيم تذكروا أن إبراهيم كان يعيبهم فجاءوا به ليعرفوا هل هو فعل هذا الفعل؟ فأسند الفعل إلى كبير الأصنام غيظا منه لما رأى من زيادة تعظيمهم له.

وعندما فكروا بعقولهم في قول إبراهيم علموا أنهم ظالمين بعبادتهم من لا ينطق ولا يسمع ولا يتكلم ،ثم أخذوا يجادلوا ويكابروا في أنهم كيف يسألون من لا ينطق ؟ ، فقال إبراهيم منكراً لعبادتهم، إنكم كيف تعبدون الذي لا يملك لكم النفع ولا الضر ،وتضجّر منهم على إصرارهم على الباطل ،وقبّح فعلهم في عدم استخدامهم لعقولهم.

فأخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة ،وطلبوا حرقه للانتقام لآلهتهم، فرد الله عز وجل كيدهم في نحورهم وجعل النار ذات برد وسلام عليه، فكانوا أخسر من كل خاسر لما كانوا على باطل، وكان إبراهيم على الحق ونجّاه الله وأعطاه الأولاد الصالحين وجعلهم أئمة للناس.[1]

١- شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (١٠٦٩)هـ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، جزء ٦، ص ٤٤٨-٤٥٧.

وفي سورة الشعراء جاء أمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقصص على كفار مكة خبر إبراهيم الهام وشأنه العظيم حين تساءل عن عبادتهم للأصنام ليبين سفاهة عقولهم في عبادتهم ما لا ينفع ولا يضر ،ويقيم عليهم الحجة في أنهم لا يسمعون دعاءكم ولا ينفعونكم ولا يضرون ،وأنهم احتجوا على ذلك أن آباءهم كانوا عابدين لها، فما كان منه إلا أن تبرأ منها وعاداها ،وذكر صفات الإله الحق الذي يستحق العبادة ،فهو الخالق والهادي ،وهو الرازق والشافي ،وهو المحيي والمميت ،وهو الذي يغفر الذنوب والخطايا يوم الدين، ثم دعا الله أن يجعل له الفهم الصحيح ويجعله من الصالحين ،ويجعل له ذكراً حسناً في الناس بعده ،ويغفر لوالده الذي رفض الإيمان بما جاء به ،وأن لا يذله يوم العرض عندما لا ينفع المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم.[1]

وهنا تظهر الحكمة في المواقف ،فالدعوة بالموقف كالدعوة بالسلوك تدفع المدعو إلى التوقف كثيراً، وربما تكون نقطة التحول في حياته لذا كان للنبي إبراهيم عليه السلام هذا الموقف الذي يتجلى فيه الحكمة التي جوهرها العلم والحلم في موقفه مع أبيه موقف الداعي الذي لا يتجاوز حدوده والذي يحاول تليين قلب ذلك الأب الكافر بكل أسلوب.

وفي موقفه مع الكفار والأصنام ورفضه لعبادتها وإقامة الحجة والبرهان على قومه بزيف ما يعبدون وضلاله ،وأنهم مخدوعون في ذلك بحجة أنهم

١- صفوة التفاسير ، جزء ٢ ، ص ٣٥١، ٣٥٢، مرجع سابق.

وجدوا آباءهم الأسبقون يعبدون هذه الأصنام فتبعوهم دون إعمال منهم لعقولهم في عدم حصول المنفعة والضرر منها.[1]

لقد بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ليدعو الناس المرضى في قلوبهم إلى الإيمان ويوقظهم ويهديهم سواء السبيل ؛ لذا فإن الله أخذ بعنايته الحفاظ عليه وقيادته، والله رؤوف رحيم بالعباد ولا يتركهم سُدى ويهيء لهم من أمرهم رشداً وينبههم إلى السعادة، وإذا عصى قوم وما أرادوا الهداية فإن ظلمهم يقع على عاتقهم.

وكان إبراهيم عليه السلام يصدع بواجبه وما أمره الله به، وكبقية رسل الحق فإنه كان من البشر، ولذا فقد أوذي لرد دعوته إلى العدل والإنسانية والإيمان بالله تعالى من قبل قومه الذين وقفوا في وجهه بعنف وقسوة.

لذا واجههم سيدنا إبراهيم بزيف عبادتهم للأوثان بكل قوة وثبات على الحق ،فما كان منهم إلا التكذيب والصد وإلحاق العذاب به من الحرق بالنار فأنجاه الله منها ومنهم.[2]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

٢- الثبات على الحق والصدع به والدعوة إليه حتى وإن كان الرد والصد من الطرف الآخر، لأن غاية الداعية تبليغ الدعوة للناس.

٣- الشفقة على الأقارب وخصوصاً الأب ودعوته إلى عبادة الله حتى ينجيه من عذابه يوم القيامة.

١- د. علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، (المنصورة: دار الوفاء، ١٩٨٦م)، ص ١٥٠،١٥١.
٢- نفحات أخلاقية وعرفانية في القصص السماوية، ص ٦٧،٦٨. مرجع سابق.

٤- استخدام الحيلة والمعاريض من الأساليب الجيدة في البعد عن الكذب وفي تحقيق غايات الإنسان وبلوغ أهدافه بكل سهولة.

٥- انتزاع الاعتراف والجواب من المتعلم بدعوته إلى التفكر والاستنتاج أسلوب تربوي ناجح في ترسيخ المعلومة في ذهن الطالب وحثه على التفكير.

٦- تأييد الله عز وجل للمؤمنين الموحدين وإنقاذهم من كل كرب ومن كيد الذين يعادونهم مما يشعر أن الله مع عباده المتقين.

٧- التأدب مع الله عز وجل في الخطاب بأن أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه مع أن الله عز وجل هو المسبب له وأسند الشفاء لله، ليصف الله عز وجل بخير الصفات بعد أن أرجع كل أمور حياته إلى الله وأنه هو المتصرف فيها.

** ** **

(٢)قصة قوم صالح عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في ثمانية مواضع ، وسأتناول بالدراسة هنا ما ورد في سورة الأعراف في الآيات من (٧٣) إلى (٧٩) في قوله تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ... ﴾ (١)

ومروراً سريعاً على قصته عليه السلام في سورة هود الآيات من (٦١) إلى (٦٨) في قوله تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٢)

فقد ذكر الله تعالى قصة ثمود الذين كانوا في سعة من العيش، فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا، فبعث الله لهم صالحاً نبياً من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فدعاهم إلى الله فلم يتبعه منهم إلا القليل.

وبعد أن جاءهم بالآية الدالة على صدق دعوته وهي الناقة التي أخرجها الله له من بطن الصخرة ،وكان لها يوم أكل خاص ويوم شرب خاص، فكانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء، ترد غباً، فإذا كان يومها وضعت

١- سورة الأعراف الآية :٧٣
٢- سورة هود الآية :٦١

رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها، ثم تفجج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون.

ثم إن صالحاً نهاهم عن مسها بشيء من الأذى إكراماً لآية الله، فلا ينهروها ولا يمنعوها من الماء والكلأ، وذكّرهم بنعم الله عليهم ،وهو جعلهم خلائف في الأرض وزيادتهم في الخلق بسطة ،واتخاذ القصور في السهول ،ونحت الجبال بيوتاً، وذكرهم بأنعم الله عامة وهي آلاء الله جميعاً ليدعوهم إلى الإيمان به وترك الكفر والشرك ،فقال رؤساء الكفر لمن كان مستضعفاً من قوم صالح ممن آمن معه على جهة الاستهزاء بإيمانهم وتأكيدهم كفرهم بما جاء به صالح.

ثم كان منهم عقر الناقة والاستكبار عن امتثال أمر ربهم ومن اتباع دينه وشرعه ،وقالوا لصالح عليه السلام مستهزئين أن يأتيهم بالعذاب الذي وعدهم إياه إن كان كما يقول حقاً مرسلاً. فوعدهم به صالح بعد ثلاثة أيام ،فأصابتهم الرجفة وهي الصيحة أو الزلزلة الشديدة فأصبحوا هامدين لا يتحركون موتى، فتولى صالح عنهم بعد إهلاكهم ومشاهدة ما جرى لهم ،وقال متفجعاً متحسراً عليهم أني قد بلغت ونصحت لكنكم لم تستمعوا لقولي ولم تنتصحوا بنصيحتي، ليسمع ذلك من كان معه من المؤمنين فيزدادوا إيماناً، وانتفاء عن معصية الله واقتضاء لما جاء به نبيه عن الله.[1]

وفي سورة هود يبيّن صالح عليه السلام لقومه نعم الله في بداية دعوته أنه تعالى ابتدأ خلقهم من الأرض ،فخلق آدم من تراب ،ثم ذريته من

١- أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) ، تفسير البحر المحيط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، جزء ٤، ص ٣٣٠-٣٣٥.

نطفة ،ثم جعلهم عمّاراً وسكاناً لها، وطلب منهم استغفاره من الشرك والرجوع إليه بالطاعة، فأجابوه أنه كان فيهم سيداً قبل هذه المقالة، فلما قالها انقطع رجاؤهم فيه وهي نهيهُ إياهم عن عبادة الأوثان التي كان يعبدها آباؤهم من قبل، فرد عليهم أنه على برهان وحجة واضحة من اللّه على قوله، وأنه مؤتمر بأمره ولا أحد يمنعه من عذاب اللّه إن عصاه، فما يزيدوه غير تضليل وإبعاد عن الخير ،وجاء بالناقة برهان على صدق دعوته وأمرهم أن يتركوها ترعى في أرض اللّه ولا ينالوها بشيء من السوء فيحل عليهم العذاب، لكنهم عصوا أمره وعقروها فأمهلهم ثلاثة أيام ثم جاء العذاب ونفذ الوعد الحق فأنجى اللّه صالحاً والذين آمنوا معه وأهلك الباقين.[1]

فقد كانت ثمود قوم صالح تمثل الوارث السفيه الذي لم يتعب في جمع المال، وقد اجتمع عليه شبابه وفراغ وقته وكثرة ماله ففسد خلقه واعوجت سيرته وساءت حالته فلم يعتبر بما نكب به آباءه وأجداده.

فقد ورثوا قوم عاد بعد أن أهلكهم اللّه بالريح العاتية لو لم تتعظ ثمود بما جرى لعاد يوم خلفوهم في الأرض واستعمرهم اللّه فيها ،فاستمرءوا النعمة ولم يشكروا عليها وبطروا بها وكفروا وعبدوا الأوثان ، ثم ما كان منهم إلا أن عصوا رسول اللّه وعقروا الناقة فاستحقوا العذاب بالرجفة وهم نائمون.[2]

كانت ثمود أمة من أمم الانحراف، والانحراف لابد وأن يترك تحت رماده بذور يصلح زرعها على أرض معسكر الانحراف، الذي يستلم الراية فيما بعد، وهذه البذور تظل تحت الأرض لفترة حتى يأتي من يتعهدها حتى تكبر

١- صفوة التفاسير، جزء ٢، ص ١٩،٢٠، مرجع سابق.
٢- قصص من القرآن-محمود زهران، ص ص ٢٨-٣١، مرجع سابق.

وتصبح شجرة من الدنس في نهاية الطريق، وإذا كانت ثمود قد تعهدت شجرة ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا... ﴾[1] التي قام كفار قوم نوح بتسليمها لكفار قوم هود، فإن ثمود كان لها السبق في إضافة معنى آخر يقبل بشرية الرسول بشروط ،وهو أن لا يكون واحداً كما حكى القرآن عنهم

﴿...أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ثم اتسعت هذه الشروط فيما بعد وكان في اتساعها كارثة.

وهذا كل ما سبق من اعتراضهم على الرسالة ، والرسول يصب في النهاية في مصلحة الجبابرة الذين إذا ادعوا الرسالة يمكن أن يلوحوا بما لديهم من عدة وحشد وحشم وأنصار ليدفعوا الناس إلى تصديقهم.[3]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- الصبر والمصابرة في دعوة الناس وتعليمهم وإمساك النفس عن التأفف والضجر بالجهد الشديد واحتمال المتعلم مهما كانت حاله.

٢- أن النعم تستوجب الشكر عليها لا الكفر حتى تدوم على صاحبها، فمن آتاه الله النعم عليه شكرها وعدم كفرها ، وعليه الإيمان بالله واتباع رسله لا الكفران به وعبادة غيره، ممن لا يستحق العبادة.

٣- الامتحان والاختبار لمعرفة القدرات عند الطلبة أسلوب جيد لتثبيت التعليم وليتكون عند المعلم فكرة عن طاقات طلابه، فيراعيهم في مستوياتهم العلمية أثناء الحصة الصفية .

١- سورة الشعراء من الآية : ١٥٤

٢- سورة القمر من الآية : ٢٤

٣- الانحرافات الكبرى، ص ٩٨،٩٩، مرجع سابق.

٤- تعلم الصبر على المكاره وترك العجلة وطلب حصول الأمر بسرعة لأن العجلة من الشيطان وتؤدي في النهاية إلى الفشل.

٥- أهمية التدليل على التعليم بأن يكون له حقيقة علمية سواء كان هذا الدليل ملموساً أم عقلياً لتثبت المعلومة في ذهن الطالب.

٦- إمهال الطالب وإعطاؤه فرصة للتفكير والبحث حتى يصل إلى النتائج السليمة بكل أريحية.

** ** **

(٤)قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر

ذكرها الله عزوجل مرة واحدة في سورة غافر في الآيات من (٢٨) إلى (٤٥)، حيث بدأها الله سبحانه بقوله:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1].

فقد بيّن الله عزوجل حال هذا الرجل المؤمن وكان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى سراً، وقيل كان إسرائيلياً، وكان يكتم إيمانه عن فرعون وأنه استغرب من فعل فرعون وأعوانه في إقدامهم على قتل رجل بسبب قوله ربي الله إنكاراً منه عظيمًا، وتبكيت شديد على فعلهم مع أنه أحضر لتصبح قوله هذا بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم ليعترفوا به وليلين بذلك جماحهم.

١- سورة غافر الآية :٢٨

ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال: لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً ،فإن كان الأول يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ،وإن كان الثاني يصبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له، فالله عز وجل لا يهدي شخصًا للنبوة ويؤيده بالبينات إن كان مسرفاً كذاباً .

ثم ذكّرهم أنهم الآن ملوك مصر عالين فيها لا يمنعهم أحد ،فمن ينصرنا جميعاً من الله ،وقال هذا لأنه منهم في القرابة ولينصحهم في أنه مساهم به أيضاً، وبيّن لهم أنه لا يعلمهم إلا الصواب ولا يدخر منه شيئاً.

ثم أخذ بتحذيرهم من عذاب الله أن يحل عليهم مثل ما حل بالأقوام السابقة من قوم نوح وعاد وثمود ،وأن الله لم يظلمهم ولكن كانوا هم الظالمين ،ثم استمر في تحذيرهم وخوفه عليهم من يوم الحساب الأعظم في الآخرة حين ينصرفون من الحساب إلى النار إذا بقوا على كفرهم وعنادهم ليس لكم من الله من معين أو ناصر أو مُبْعد عنكم العذاب، ومن أراد الله أن يضله فليس له هادٍ دونه، وقد جاءكم من قبل رسول وهو يوسف بالبينات وشككتم به أيضاً حتى إذا قبض قلتم إنه لن يبعث الله رسولا من بعده من غير حجة ولا برهان على ذلك، ومثل هذا الخذلان يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه، ثم عاد المؤمن وطلب من قومه أن يتبعوا قوله ليهديهم إلى سبيل الخير والفلاح، ثم افتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها، لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة، وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر، وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزيف.

ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ،ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين ،وهو قوله تعالى﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]. وبذلك أدى هذا المؤمن المهمة.[2]

وهذا المؤمن من قوم فرعون كان كالصاعقة على فرعون وملأه، وهو من أقرب المقربين له، بل قيل إنه وزيره وابن عمّه، قد هداه الله إلى دين التوحيد القويم وبعث في نفسه نور الإيمان الحق، وكشف له سبيل الرشد، فوقف هذا الرجل ليعلن على الملأ إيمانه ودفاعه عن موسى ضد القتل.

وراح يذكرهم بقوة الله وبطشه فثارت ثائرة القوم وهمّوا بقتله أو إيداعه في السجن حتى يرتدع ويرعوي.[3]

لقد كان مؤمن آل فرعون من جملة الملأ- الأشراف والأسياد- وهذا من عجائب التدبير أن تصل الدعوة إلى أمثاله، ولربما لو آمن رجل منهم لأسلم بإسلامه خلق كثير، وقد كان فرعون طاغوتاً، يُعبد من دون الله، فخرج نبي الله موسى يدعوه ويدعو قومه لعبادة الله وحده، فآمن به من أراد الله سعادته ،وكان منهم مؤمن آل فرعون الذي أخذ على نفسه الدفاع عن موسى عليه السلام ضد القتل، وأخذ يبين للناس صدق دعواه ويضرب لذلك البراهين والأدلة حرصاً منه على إيمانهم ودعوة لهم إلى التصديق بما جاء به موسى عليه

١- سورة غافر الآية :45

٢- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨)هـ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: دار الفكر) ، جزء ٣ ، ص ٤٢٣-٤٣٠.

٣- قصص الأنبياء في القرآن الكريم-سميح الزين، ص ٤٢٧،٤٢٨، مرجع سابق.

السلام لينقذهم بذلك من عذاب الله يوم القيامة، وكان هذا المؤمن يكتم إيمانه بعد أن وقع الحق في قلبه، ويجوز كتمان الإيمان إذا خاف على نفسه وقد يكون كتمانه وإخفاء الشعائر سياسة شرعية واجبة الأخذ والانتشار يمليها النظر الشرعي.

وقد كان دفاع مؤمن آل فرعون عن نبي الله موسى دون سب ولا لعن، لكنه تسلل إلى قلوبهم بالنصيحة الرقيقة الممزوجة بالتخويف والإقناع، واستخدام أسلوب حكيم في الإقناع وهو أسلوب استدراج المخاطب عندما رأى من عزم فرعون على قتل موسى ،فأراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها أنه متعصب له وأنه من أتباعه فجاءهم بطريق النصح والملاطفة.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- الاعتبار بالأمم السابقة واستخدامها كمثال للتدليل على القول ،وأنه قد يحصل للإنسان ما حصل لهم إذا اتبع طريقهم ونهج نهجهم، وفي هذا دعوة للطالب إلى الاتعاظ من أمثال الطلاب الكسالى والمهملين في دروسهم ،وأن مصيرهم كان هو الفشل فلا يسير على ما ساروا عليه بل يجد ويثابر.

٢- عدم الاستهانة بأي شخص مهما تكن قدراته ضعيفة ، لأن الضعيف وغير المعروف بالعلم قد يعمل الشيء الكثير.

٣- الإيمان بالله سراً وإخفاؤه عن الناس لسبب فيه مصلحة كبرى جائز ،بل قد يكون في بعض الأحيان واجبا على الفرد لحماية حياته.

١- قصص القرآن عظات وعبر، ص ٣٣٧-٣٤٣، مرجع سابق.

٤- التلطف في الدعوة والتلطف مع المتعلمين مما يعطي حافزا إلى حب العلم والاستمرار به عند طلابه.

٥- حرص الفرد على مصالح الجماعة التي ينتمي إليها وإرادة الخير لها في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٦- استخدام أسلوب الحوار والنقاش في إيصال العلم إلى طلابه يساعد على إثراء معلوماتهم وتعليمهم أسلوب الحوار البناء وكيفية النقاش والكلام المفيد مع الآخرين.

٧- ذم الدنيا والتقليل من شأنها ومن متاعها والحث على طلب الآخرة والسعي إلى تحصيل خيرها من رضى الله عز وجل والفوز بالجنات.

** ** **

(٥)قصة مؤمن أنطاكية

ذكرها الله عز وجل في سورة يس في قوله تعالى:

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1]

وقد سبق ذكر قصة مؤمن أنطاكية ذكر قصة أصحاب القرية التي جاء إليها اثنان من المرسلين فكذبوهما فعزز الله ببعث الثالث لهما مما زاد في

١- سورة يس الآيات :٢٠:٢٨

إقامة الحجة عليهم، وكانت قصتهم تلك مثلاً أراد الله ضربه عن طريق نبيه المبلغ عنه محمد صلى الله عليه وسلم لكفار قريش ، وما كان في هذه القصة من تسلية للنبي عليه السلام بذكر ما حدث مع الرسل السابقين.

ثم ما كان من أصحاب القرية إلا أن كذّبوا هؤلاء المرسلين وتشاءموا منهم، فردوا عليهم أن شؤمكم عليكم وأننا أردنا بدعوتنا هذه الخير لكم والنجاة من النار يوم القيامة بأن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ،وأننا لا نريد أجراً مادياً أو معنوياً منكم على دعوتنا وإنما أجرنا على الله لأننا مبلغون منه لإنذاركم من عذابه إن كفرتم.

ثم يأتي ذلك الرجل من المدينة ليعزز دعوة هؤلاء المرسلين وكان مسرعاً في المجيء لحرصه على إيمان قومه، فطلب من قومه اتباع المرسلين الذين لو أرادوا شيئاً لأنفسهم لطلبوا الأجر، ثم عرّض لهم أنني كيف لا أعبد الذي فطرني وخلقني وإليه مرجعكم على جهة التعريض بهم أنكم أحرى أن تعبدوه لأن مرجعكم إليه وهذا احتجاج منه عليهم، وأضاف الفطرة إلى نفسه، لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر، والبعث إليهم، لأن ذلك وعيد يقتضي الزجر، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكراً، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً.

ثم قال مشنعاً عليهم كيف أتخذ من دونه أصناماً لا يغنون عني شيئاً ولا يدفعون عني الضر ولا يخلصوني من البلاء،فإذا فعلت ذلك كنت ذا خسران ظاهر، ثم خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم وطلب منهم أن يكونوا شهوداً له بالإيمان، فما كان من قومه إلا أن وثبوا عليه وقتلوه فخرجت روحه

ودخلت الجنة، فلما رأى ما فيها من الخير الكثير تمنى أن يعلم قومه بما هو فيه من الغفران والنعيم، ومعنى تمنيه فيه قولان:

الأول : أنه تمنى أن يعلموا مجالسه ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته.

والثاني : تمني ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله.

فكان بَعدُ أن عاقب الله هؤلاء القوم بسب كفرهم وأهلكهم بصيحة واحدة.[1]

واشتمل هذا النص على تعليم من الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن يوجّه علاجاً لقومه، بأن يقدم لهم صورة من صور الإقناع الذي يحمل عصا الإنذار بالعقاب المعجّل للذين لم يؤمنوا به رسولاً، ولم يؤمنوا بما جاء به عن ربه.

وهذه الصور هي ضرب هذا المثل لما هم فيه من عنادٍ وإصرار على الكفر بما كان عليه أصحاب قرية وثنية جاءها مرسلون من غير أهلها، فدعوهم إلى الإيمان الحق وإلى ترك الكفر والباطل، فكذبوهم في كونهم رسل ربهم فأكدوا لهم أنهم صادقون مرسلون حقاً ،وأنه ليس عليهم إلا البلاغ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنهم ليسوا مكلفين أن يلزموهم إلزاماً على الإيمان، فأصر أصحاب القرية على تكذيب الرسل وهددوهم بالقتل رجماً بالحجارة.

ونصر هؤلاء الرسل الثلاثة رجل من أصحاب القرية جاء من أقصى المدينة يسعى فدعاهم إلى الإيمان برسل ربهم وحاورهم وناظرهم وأخيراً أعلن إيمانه بربه فغضبوا وثاروا عليه وقتلوه، فوجد عند ربه مغفرة وإكراماً

١- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٣م) جزء ٨، ص ١٤ ، ١٥.

عظيماً ،فتمنى أن يعلم قومه بذلك، والله أوقع بعد ذلك العذاب على قومه بكفرهم.[1]

فقصة صاحب يس توضح حقيقة الإيمان وقيمة اليقين، وكيف تكون الاستجابة لداعي الحق، وفعل الله بأوليائه وتصور الصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر.

فصاحب يس الذي ذكرته السورة تنويهاً له وإعلاء لشأنه لم تذكر اسمه ولا بلده ولا سنه وكل ذلك طواه القرآن، لأنه لا فائدة ترجى من البحث فيه، وليس هو الهدف من القصص القرآني، وإنما الهدف إظهار العلاقة بين الخير والشر وعاقبة كلٍّ منهما، الأمر الذي يدعو العباد إلى الإيمان وفعل الخيرات ويخوفهم من الكفر وفعل المنكرات.

فهي دعوة إلى الاستقامة على منهج الله ومتابعة طريق الأنبياء والمرسلين، وكان الغرض الأساسي منها إقامة واجب العبودية في كل عصر ووقت ودعوة الخلائق لإسلام الوجه لله جل وعلا، وإبلاغ الحق للخلق، فهي تذكرة سيقت مساق القصة في بساطة أسلوب وسلاسة عرض تصل إلى شغاف القلوب من أيسر الطرق لتحقق هدفها وتبلغ مرامها.[2]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- أن الإيمان بالله ولو كان زمنه قصيرا ، فإنه يؤدي إلى تحقيق رضا الله وطول العمر والفوز بجنانه إذا كان الإنسان فيه صادقاً وكان هذا الإيمان نابعاً من القلب واستخدم لتحقيق غايات عظمى.

١- فقه الدعوة إلى الله، ص ٤٢٥، ٤٢٦، مرجع سابق.
٢- قصص القرآن عظات وعبر، ص ٢٦١، ٢٦٢، مرجع سابق.

٢- إن صاحب أي فكرة جديدة لابد أن يتسلح بأدلة قوية كما كان موقف مؤمن يس من الاستدلال على قومه بالآلهة التي لا تضر ولا تنفع.

٣- الابتعاد عن التشاؤم والتطير كما فعل أصحاب القرية.

٤- التشكيك والإشاعات والكذب من الأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى إفساد المجتمع وخلخلة ترابطه.

٥- عدم انتظار الأجر على فعل الخير من الناس ، بل يبتغي فاعله الأجر عند الله تعالى.

٦- التلطف بمخاطبة الأعداء ومن يُرجى صلاحه، ومنه يؤخذ التلطف في معاملة التلميذ مما يورث عنده السكينة وحب العلم والمعلم.

٧- الاهتمام بطلب القوة المادية إذا احتاجها الإنسان لتأييد رأيه.

** ** **

(٦)قصة أصحاب الجنة في سورة القلم

ذكرها الله عز وجل في الآيات من (١٧) إلى (٣٣)، والتي قال الله تعالى فيها:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

وهذه القصة قد تكون متداولة ومعروفة، لكن السياق القرآني يكشف عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته ومن ابتلاء وجزاء لبعض عباده، ويكون هذا هو الجديد في السياق القرآني .

ومن خلال حوادثها ونصوصها نلمح مجموعة من الناس ساذجة بدائية أشبه في تفكيرها وتصورها وحركتها بأهل الريف البسطاء السذج، وهذا مناسب لمستوى المخاطبين في القصة الذين كانوا يعاندون ويجحدون، لكن نفوسهم ليست شديدة التعقيد إنما هي أقرب إلى البساطة والسذاجة. ففي القصة سخرية بالكيد البشري العاجز أمام تدبير الله وكيده أو فيها حيوية في العرض ، فكأن السامع يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى.

فأصحاب هذه الجنة في الدنيا يبيّتون أمراً وهو أن للمساكين حظًّا من ثمر هذه الجنة على أيام صاحبها الرجل الصالح، لكن الورثة يريدون أن يستأثروا بثمارها الآن ويحرمون المساكين ،فقرروا قطع الثمار في الصباح الباكر دون علم المساكين وبيّتوا ذلك وعقدوا النية عليه، فكانت المفاجأة أن

١- سورة القلم الأيات :١٧:٢٤.

أهلك الله الجنة في الليل ،وعندما أصبحوا ذهبوا إليه بعد أن تنادوا خلسة دون إشعار أحد وكانوا يهمسون أنهم لن يعطوا اليوم مسكيناً واحداً وكانوا قادرين في ظنهم على الحرمان والمنع، وهم يتفاجأون بعد أن رأوها وظنوا أنهم أضلوا الطريق ،ثم أيقنوا بالخبر أنهم حُرموا ثمرها بسبب المكر والتبييت ،وكان هذا عاقبة البطر والمنع ،فيتقدم أوسطهم وهو أعقلهم فيطلب إليهم التوبة إلى الله من هذا العمل ويتلاومون على فعله وكذلك كان الابتلاء بالنعمة.[1]

وقد صوّر القرآن الكريم هذه القصة بأسلوبه البليغ الحكيم لأحوال البشر والنفوس البشرية تصويراً معجزاً، وكانت هذه القصة مثلا ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة وهو بعثه محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فقابلوه بالتكذيب والمحاربة.

ويبدو أن قصة أصحاب الجنة كانت معروفة لأهل مكة، ولذا ضرب الله تعالى المثل بها حتى يعتبروا ويتعظوا.

فالآيات تدل على أنه تعالى امتحن كفار قريش بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف بسبب كفرهم بنعمه وتكذبيهم لرسوله صلى الله عليه وسلم كما ابتلى من قبلهم أصحاب الجنة، بأن دمرها تدميراً، بسبب بخلهم وامتناعهم عن أداء حقوق الله منها. فأنزل بهذه الحديقة بلاء أحاط بها فأهلكها فصارت كالشيء المحترق الذي قطع ثمره ولم يبق منه شيء ينفع.

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ١٩٩٤م)، جزء ٦ ، ص ٣٦٦٤-٣٦٦٦.

ثم جاءت الخاتمة تين النتيجة النهائية أنه مثل هذا العذاب الذي نزل بأصحاب الجنة يكون عذاب أهل الكفر والشرك ، وأما عذاب الآخرة فهو أشد وأبقى وأعظم لو أنهم من أهل الفهم والعلم فيدعوهم ذلك إلى الإيمان.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- سوء عاقبة الجاحدين لنعم الله، إذ هذا الجحود يؤدي إلى زوال النعم، وشكرها يؤدي إلى دوامها وزيادتها.

٢- تنوع حالات النفس الإنسانية وتدرجها من حال غناها إلى حال فقرها، وفي حال حصولها على النعمة وفي حال ذهابها من بين أيديها، فعلى المعلم أن يراعي هذا التنوع واحتياجات كل نوع من طلابه حتى ينجح في إيصال العلم لهم.

٣- ضرب الأمثال من الأساليب التربوية الناجحة في ترسيخ المعلومة في ذهن الطالب والتنوع فيها يؤدي إلى تنوع العلوم والمعارف.

٤- أن الله عز وجل قد يبتلى أحدًا من عباده ليختبرهم في إيمانهم أو ليردهم إلى جادة الصواب إذا حاد عنها لطمع نفسي أو مادي.

٥-أن النفس أمارة بالسوء فعلى المسلم أن يحذر من وساوس النفس ووساوس الشيطان وأن يتبع ما يرضي الله في ذلك.

** ** **

١- القصة في القرآن الكريم-محمد الطنطاوي، ص ٩٤٢-٩٤٩، مرجع سابق.

(٧)قصة أصحاب الأخدود

ذكرها الله عز وجل في سورة البروج في قوله تعالى:

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1] .

صُدِّرت هذه القصة بجملة دعائية من الرب سبحانه وتعالى على أصحاب الأخدود والآيات بدأت في سورة البروج بالقسم بالسماء ذات البروج ، والقسم باليوم الموعود ، والقسم بالشاهد والمشهود على أنهم-أي كفار مكة-ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود . كما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يتأسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من أقوامهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله تعالى بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم.

١- سورة البروج الآيات:٤:١٢.

وقد روي في صحيح مسلم[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان فيما سبق ملك وكان له ساحر وأنه كبر فأراد أن يعلم أحداً يخلفه في عمله فأُحضر له غلام فكان يعلمه وأنه في طريق الغلام كان راهب، فكان الغلام يجلس إليه حتى أحب كلامه وأنه بعد أن أتم العلم حدثت حادثة الدابة التي في الطريق التي عرف الغلام من خلالها أن أمر الساحر باطل وأمر الراهب خير، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص ،وكان للملك جليس أعمى فطلب من الغلام شفاءه ، فقال له الغلام إن الشافي هو الله وطلب منه الإيمان به ليشفيه، فآمن فشفاه الله ،ثم سأل الملك هذا الجليس عمّن شفاه، فأخبره أنه الله تعالى، فغضب لأنه عبد إلهاً غيره وكان قد نصّب نفسه إلهًا للناس جميعاً فدله الجليس على الغلام بعد التعذيب ثم عذّب الغلام فدله على الراهب فقتل الراهب والجليس ،وأراد قتل الغلام فلم يفلح بشتى الطرق، فدله الغلام على طريقة قتله والتي كان فيها إيمان الناس جميعاً برب الغلام، فعلم الملك بذلك، فأمر بالأخدود فشُق وهو الحز في الأرض وأوقد فيه النيران وأمر أعوانه أنه من لم يرجع عن دينه من الناس ألقوه فيه ففعلوا.

فقد لعنهم الله حين أوقدوا النار العظيمة اللهب وأحدقوا بها قاعدين حولها ليشرفوا على قتل المؤمنين ويشهدون على ذلك.

ولم يكن ما أنكروه عليهم سبباً لعذابهم فجاء باستئناف مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يُخشى عقابه وحميداً منعماً يُرجى ثوابه والله شاهد على كل شيء وعد

١- الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (الرياض: دار المغني، ١٩٩٨م) ص ١٦٠٠، كتاب الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود. الساحر والراهب والغلام، حديث (٥٣٢٧).

للمؤمنين ،ووعيد شديد لمعذبيهم فإن علمه تعالى بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما، بأنهم فتنوا المؤمنين المطروحين في الأخدود بالأذية والتعذيب ثم لم يتوبوا من فعلتهم ذلك وعن كفرهم لهم عذاب أليم ونار محرقة بسبب فتنتهم للمؤمنين.[1]

تصدر قصة الغلام وأصحاب الأخدود في وقت تتوالى فيه أخبار المذابح الجماعية وحرب الإبادة التي تتم للمسلمين في كل مكان، فقد قتل أصحاب الأخدود وقتل الغلام والراهب والأعمى، ولا سبب لذلك إلا أنهم أسلموا وجوههم لله، فسنن التدافع بين الإيمان والكفر والحق والباطل ماضية في الخلق.

وكما كانت المواجهة بين الملك الطاغية وجنده من جهة والغلام والراهب والأعمى وأصحاب الأخدود مواجهة عقائدية وليست صراعاً على الملك أو الأمتار والتراب كل ذلك جملة الصراع العقائدي أو الأيديولوجي كما يعبر البعض.

فقصة الغلام وأصحاب الأخدود ، فهي معين لا ينضب بالدروس والفوائد، وزاد للغرباء الذين يسيرون على درب الاستقامة في وقت تغيرت فيه القيم وتبدلت فيه الموازين.[2]

وملخص القصة أن جماعة من المؤمنين الصادقين، ثبتوا على إيمانهم وإخلاصهم العبادة لخالقهم، فعذبهم أعداؤهم عذاباً شديداً، حيث حفروا لهم

١- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١)هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت دار إحياء التراث العربي)، جزء ٩ ، ص ١٣٥-١٣٧.

٢- قصص القرآن عظات وعبر، ص ٣٨٥-٣٩٢، مرجع سابق.

حفراً في الأرض، ثم أضرموا فيها النار، ثم ألقوا بالمؤمنين فيها ،وقد حكى القرآن ذلك بأسلوبه البليغ المؤثر.

فكانت الآيات تعجب من حال هؤلاء المجرمين، حيث عذّبوا المؤمنين، لا لشيء إلا من أجل إيمانهم بخالقهم، وكأن الإيمان في نظرهم جريمة تستحق الإحراق بالنار.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

١- أن الحياة جعلها الله عز وجل نزاعاً موصولاً بين أهل الحق وأهل الباطل، إلا أن سنة الله تعالى قد جعلت العاقبة للمؤمنين الصادقين.

٢-أن الجزاء من جنس العمل فقد عذّب الله تعالى أصحاب الأخدود بالنار كما عذّبوا المؤمنين بالنار في الأخدود.

٣-أن أصحاب دعوة الحق دائماً معرضون للبلاء والاضطهاد والقتل في كل زمان ومكان وهذه سنة الله تعالى في عباده أن أهل الحق منهم محاربون من دعاة الكفر والضلال وهي سائرة إلى يومنا هذا ولا أدل عليه مما يجري في زماننا من القتل والتعذيب للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فعليهم أن يصبروا ويحتسبوا.

٤- دعوة الجبارين والعصاة للتوبة مع كل ما يفعلونه وما فعلوه من الذنوب والآثام لأن باب الرجاء مفتوح وباب التوبة مفتوح والله هو التواب الرحيم.

٥- استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في ثنايا القصة وهو أسلوب تربوي ناجح في العملية التعليمية.

١- القصة في القرآن الكريم – طنطاوي، ص ٩٥٠-٩٥٧، مرجع سابق.

٦- استخدام المعاريض للبعد عن الكذب كما هو حال الغلام عند قوله للساحر والأهل والتعمية على الراهب.

٧- أن الكرامات للأولياء شيء مشروع وله أصل في الدين فنؤمن به.

٨- الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم كما اعترف الراهب بفضل الغلام عليه.

٩- كتمان السر وما فيه شر إذا انتشر للحفاظ على أمن المجتمع وسلامته